# سر
# الجزيره الغامضه



جول فيرن

ترجمه هنري زغيب

# سر الجزيره الغامضه

جول فيرن

ترجمه هنري زغيب

سر الجزيره الغامضه
تأليف جول فيرن
ترجمه هنري زغيب
الطبعه الاولى ١٩٩١

الناشر وزارة الثقافه والاعلام دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد ـ بريد ٨ شباط ص . ب ٨٠٤١

سلسله مكتبتنا
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافه الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير التحرير : فاروق يوسف

# سر الجزيره الغامضه

# بين بحر وبر وفضاء

ـ اننا نهبط . .

ـ ارموا صابورة اخرى .

ـ رميناها جميعها . لم يعد عندنا منها أي واحدة .

ـ ولم يرتفع المنطاد؟

ـ كلا .

ـ أسمع كما صوت امواج .

ـ البحر بات تحت سلة المنطاد .

ـ ليس ادنى اكثر من خمسمئة قدم .

كانت هذه هي الحوارات المتبادلة في الهواء، فوق تلك المساحة الشاسعة من مياه المحيط الاطلسي، نحو الرابعة بعد ظهر ٢٣ آذار ١٨٦٥ ، في منطاد يتهاوى كما كرة على قمة عمود ماء وسط إعصار، بسرعة ٩٠ ميلا في الساعة، دائراً على نفسه بزخم، فيما سلته تتأرجح

تحتـه وفيها خمسة ملاحين يكاد يخفيهم ضباب كثيف ينحدر حتى سطح مياه الاوقيانوس.

من أين جاء هذا المنطاد حتى بات العوبة الاعصار بهذا النحو؟ حتماً لم ينطلق بعد هبوب العاصفة التي مازالت منذ خمسة ايام، حين بدأت تباشيرها تظهر في ١٨ آذار. إذن: المنطاد آت من البعيد، بما لايقل عن ٢٠٠٠ ميل قطعها في ٢٤ ساعة. ويبدو ان ملاحيه لايملكون معهم ما ينبئهم عن تحولات الطقس بعد انطلاقهم.

هكذا مر الليل في قلق شديد. ومع انبلاج الصباح، مالت العاصفة الى الهدوء قليلاً، حتى سكنت تقريباً مع بداية ذلك النهار (٢٤ آذار) فعادت الغيوم الى قبة الفلك، وانكسر عمود الماء واستقرت صفحة الاطلسي.

نحو الظهر، كان المنطاد قد هبط حتى نحو ٢٠٠٠ قدم عن سطح الماء، فرمى الملاحون آخر ما كان معهم من أثقال، وكل ماكان في جيوبهم، إذ لم يعد يمكنهم إبقاء المنطاد في منطقة مرتفعة ولاسيما أن الغاز بدأ يشح، وبدأوا يشعرون بالضياع.

ماكان تحتهم، ليس ارضاً ولا جزيرة، بل هو البحر الهائل المتلاطم الامـواج في عنف شديد. انه الاوقيانوس اللامحدود حتى لرائيه من فوق، ممتدة عيناه الى ٤٠ ميلا في الاقل.

في الساعة الثانية، كان المنطاد قد هبط حتى نحو ٤٠٠ قدم فوق الموج، حين صدر صوت جهوري

- بدا صوت رجل لا يعرف الخوف - فأجابته اصوات لاتقل عنه شجاعة:

- ماعندنا، بعد، نرميه؟

- لاشيء.

- بلى: هذه السلة التي نحن فيها.

ـ فلنتعلق بالحبال ولنرم السلة في المياه.

كانت هذه هي الطريقة الوحيدة والاخيرة لتخفيف الثقل عن المنطاد. قطعوا الحبال، فسقطت السلة في البحر وعلا المنطاد نحو ٢٠٠٠ ميل، بين حبال شبكته، الملاحون الخمسة ينظرون الى تحت، الى الهوة السحيقة.

لكن المنطاد، بعدما استقر عاليا بعض الوقت، عاد الى الهبوط، بسبب تسرب الغاز من شق صغير كان يستحيل إصلاحه. ووسط ذعر الملاحين وقلقهم، نبح كلب كان معهم معلقاً بين حبال الشبكة الى جانب سيده، فقال هذا:

ـ يبدو ان (توب) رأى شيئاً.

وما هي الا لحظات حتى صرخ آخر:

ـ اليابسة... هاهي اليابسة!

ذلك ان المنطاد، وقد استسلم لمشيئة الريح، انحرف الى الجنوب الغربي فاجتاز منذ الصباح مسافة شاسعة حتى اطلت عليه قطعة من اليابسة على نحو ثلاثين ميلا تلزم ساعة في الاقل لاجتيازها اذا لم ينحرف المنطاد عكس ذلك.

في نحو الساعة الرابعة، بدأ المنطاد يتهاوى اكثر، من دون توازن، حتى كاد يلامس صفحة المياه. وبعد نصف ساعة، لم تعد اليابسة أبعد من ميل واحد. لكن الغاز لم يعد موجوداً الا في القسم الاعلى فقط من المنطاد المنهلك الضامر. وكان الملاحون المتعلقون بحباله قد بدأوا يلامسون قمم الامواج المجنونة. وفي لحظة أخيرة، هبت ريح قوية نفخت في المنطاد فحملته الى الوراء قريبا من شاطىء اليابسة.

وكان قد بات على مسافة قلسين فقط (القلس = ٢٠٠ متر) حين صرخت اربعة اصوات مذعورة إذ أصيب المنطاد بضربة إعصار قوية رفعه ١٥٠٠ قدم حيث واجهه تيار آخر، عوض أن يحمله الى الشاطىء

نحا به في اتجاه مواز لدقيقتين ، رماه بعدهما نهائياً على الرمال.

تعاون الملاحون تباعا على التخلص من الحبال، حتى اذا تخلص المنطاد من ثقلهم، عاد الهواء فحمله الى البعيد. وبعدما كان في سلته خمسة ملاحين وكلب، لم تستقبل رمال الشاطىء سوى أربعة فقط. ويبدو ان الخامس اقتلعته ضربة الاعصار البحري مما خفف المنطاد فعاد وارتفع مرة أخيرة ، قبل ان يسقط على الارض نهائياً . وماتنبه الملاحون الى أن رفيقاً لهم سقط وضاع، حتى صرخوا معاً:

- ربما هو يحاول السباحة نحو الشاطىء. هلموا نحاول إنقاذه.

ولم يكن هؤلاء منطاديين محترفين، ولا هواة مغامرات فضائية، بل أسرى حرب أتيحت لهم فرصة الفرار في ظروف استثنائية.

كيف ذلك؟

في شباط من ذلك العام (١٨٦٥) وفي أثناء إحدى عمليات الهجوم التي قام بها الجنرال (غرانت) للاستيلاء على ريتشموند، وقع عدد من ضباطه أسرى، فسجنهم عدوه في المدينة. وكان واحد بينهم مقربا من القيادة الفدرالية، ويدعى سايروس سميث، من ماساشوستس، وهو مهندس ورجل علم كانت حكومة الاتحاد أوكلت اليه قيادة عمليات السكك الحديد في أثناء الحرب، فقام بتلك المهمة الدقيقة خير قيام. وكان عالي الثقافة، حاذق التصرف والتدبير، ويتمتع بالمهارات الثلاث: توقد الذهن والجسد، عنف الحماس، وقوة الارادة.

ومع سايروس سميث، وقع كذلك أسيرا في ايدي الجنوبيين شخص مهم آخر: جدعون سبيليت، مراسل جريدة «نيويورك هيرالد» المكلف بتغطية اخبار الحرب وسط جيوش الشمال. وكان مراقباً جرئياً يكتب تحت الرصاص ويؤرخ تحت القذائف ولايخاف الموت. وقد شهد جميع المعارك من الصفوف المتقدمة، مسدسه في يد، ودفتره في الاخرى من دون ان ترتجف له يد تحت زخ الرشاش. وحين ألقي القبض

عليه، كان يقوم بوصف دقيق للمعركة، وآخر مادون على دفتره، هذه العبارة: «أرى جنوبياً يصوب بندقيته الي، و. . » لكنه تحرك بسرعة في الوقت المناسب، فأخطاه الطلق الناري، ونجا.

لم يكن سايروس سميث وجدعون سبيليت التقيا من قبل، حين اقتيدا معا الى ريتشموند، فتصادقا إذ جمعهما هدف واحد: الفرار والالتحاق بجيش الجنرال (غرنت) والمحاربة في صفوفه تحقيقياً للوحدة الفدرالية. وهكذا صمم هذان الاميركيان على الانقضاض عند اول فرصة تتاح. لكن ريتشموند محكمة الحراسة حتى ليكاد الفرار منها يبدو مستحيلا.

في تلك الاثناء، جاء الى سايروس سميث من يضع نفسه في تصرفه حتى الموت. انه عبد كان سميث قد أعتقه. لكنه، وقد صار حراً، لم يشأ ان يترك سيده. وهو في الثلاثين، قوي، شجاع، ذكي، خدوم طيب، يدعى (ناب). ولما علم بأن سيده أسير، غادر ماساشوستس فوراً وتوجه الى ريتشموند محاولا دخولها مرات عديدة، حتى نجح اخيرا في اختراق حصارها. وفي الداخل، كان الأسرى والمحاصرون. معا متلهفين الى الخروج والفرار. وبين المحاصرين، رجل يدعى جوناثان فورستر، جنوبي غاضب يرغب في الالتحاق بالجيش الانفصالي، فتقت له فكرة الفرار مرفوعا في منطاد كي يجتاز فوق خطوط الحصار ويبلغ معسكر الانفصاليين. ولهذه الغاية، تم صنع منطاد ووضع في تصرفه، فاستعد له مع خمسة من رفاقه، مزودين بالأسلحة والمؤونة.

كان موعد انطلاق المنطاد ليل ١٨ آذار، في ريح شمالية غربية متوسطة السرعة، يأمل الملاحون بها الوصول في ساعات قليلة الى الحي الرئيسي في «لي». لكن تلك الريح، ليلتئذ، لم تكن عادية، بل هبت عاصفة هوجاء استوجبت تأخير انطلاق فوستر. وبقي المنطاد جاهزاً. منفوخاً في ساحة ريتشموند، منتظراً هدوء العاصفة التي استمرت يومي ١٨ و١٩

آذار، وبقيت حتى صباح ٢٠ منه.

صباحئذ، وصل المهندس سايروس سميث الى احد شوارع ريتشموند، يصحبه رجل لايعرفه، بحار في الاربعين، شجاع، قوي البنية، مندفع، متقد العينين، صبوح الوجه، يدعى بنكروف، سبق له ان ارتاد البحار والمحيطات. وكان مغامراً طموحاً لايعيقه حاجز، جاء الى ريتشموند مع مطلع ذلك العام لأغراض عملية مهنية، ومعه فتى في الخامسة عشرة يدعى هاربرت براون من نيوجيرسي، هو ابن قبطان بنكروف، كان هذا يعطف عليه كأنه ابنه، بعدما تيتم الفتى. واذ لم يتمكن من مغادرة ريتشموند قبل الحصار، بقي فيها مرغما، ولافكرة لديه الا واحدة: الفرار بأية وسيلة تتاح. وكان قد سمع بالمهندس سميث وبالبركان الذي يتأكله للفرار. لذلك بادره يومئذ من دون مقدمات:

ـ سيد سميث، هل تسعى الى الفرار؟

ـ نعم. كيف؟

التفت سميث بعينه الذكية الى ذاك البحار، ووجده جاداً فسأله بحزم:

ـ ومن أنت؟

عرف بنكروف بنفسه فأجاب سميث:

ـ بأية وسيلة تقترح الفرار؟

ـ بهذا المنطاد هناك. كانه موضوع خصيصا لينتظر فرارنا به.

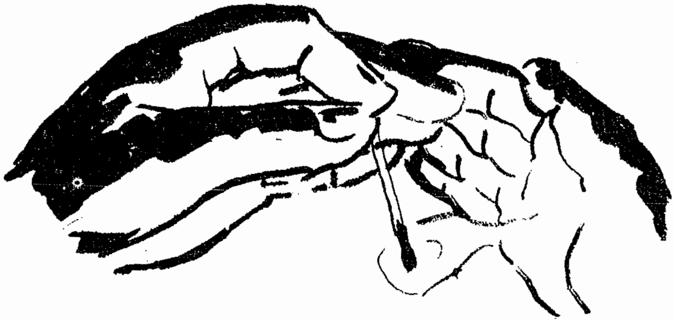
فهم المهندس مايقصده بنكروف، فأخذه بيده الى منزله، حيث طور البحار مشروعه حتى منتهى تبسيطه. وبقي الخطر الوحيد ماثلا: المخاطرة بالحياة. صحيح ان العاصفة مازالت في جنونها، لكن مهندسا بارعاً كسميث، يعرف كيف يقود المنطاد فيها. لذا، أصغى الى البحار من دون تعليق، فيما عيناه تلتمعان ـ فكرة وحيدة: المشروع خطر، لكن تحقيقه ليس مستحيلا، ويمكن ـ على الرغم من كل الحراسة المشددة ـ

الوصول ليلا الى المنطاد وولوج سلته ثم قطع الحبال التي تشده أرضا.
قال سميث للبحار:
ـ لكنني لست وحدي في الفرار.
ـ كم شخصا ستصطحب؟
ـ معي اثنان: صديقي سبيليت وخادمي ناب.
ـ اذن: أنتم ثلاثة، وأنا وهاربرت: خمس. جيد. يمكن المنطاد ان يرتفع بستة اشخاص.
ـ اتفقنا.
ـ الى اللقاء مساء.
ـ في العاشرة تماما. آمل ألا تهدأ العاصفة قبل اقلاعنا.

في التاسعة والنصف، التقى الخمسة قرب السلة، من دون ان يتنبه اليهم أحد، وكادوا لايرى واحدهم الآخر من شدة الظلمة. تسلل سميث وسبيليت وناب وهاربرت الى السلة بصمت، فيما بنكروف ـ بناء على تعليمات المهندس ـ راح يفك حبال أكياس الثقل، حتى لم يعد المنطاد مربوطا إلا بالسلك الأساسي. وفجأة، قفز الى السلة كلب، هو (توب)، كلب المهندس، كسر طوقه ولحق بسيده الذي خشي من زيادة الوزن وأراد طرد الكلب، لكن بنكروف علق: «لايهم»، فيما كان يلقي بكيسين من المنطاد لتخفيف وزنه. ثم أرخى السلك الأساسي، فعلا المنطاد واصطدمت سلته، وهي ترتفع، بمدخنتين كسرتهما من شدة عنف الاقلاع. والبقية نعرفها:

انطلقوا خمسة في ٢٠ آذار، ويوم ٢٤ منه وصلوا أربعة الى ذلك الشاطىء المقفر، بعيداً لا أقل من ٦٠٠ فرسخ عن بلادهم (الفرسخ = ٤ كيلومترات تقريبا).

أما الخامس المفقود، الذي هرعوا جميعهم للبحث عنه مذعورين، فكان قائدهم: المهندس سايروس سميث.



- ٢ -

كان المهنـدس ـ وهـو بين حبـال الشبكة ـ هوى من ضربة الريح البحرية الهوجاء، ومعه هوى كلبه وضاع.

قال المـراسل الصحافي: «هيا بنا»، وانطلق الى البحر: سبيليت، هاربرت، بنكروف ، ناب، يسبحون باحثين عن المهندس، في تلك الناحية، شمالي الشاطىء، على نصف ميل من حيث حط بهم المنطاد.

كانت الساعة نحو السادسة مساء، والضباب يجعل الليل أكثر ليلاً، والأربعـة يسبحون شمالا. وبعد نحو عشرين دقيقة، استوقفهم حزام مزبد مرتفع، يتكسر عليه الموج الغاضب، فقال البحار:

ـ هذا شناخ (انف من الجبل داخل في البحر). فلنعد أدراجنا فوراً، محافظين على جهتنا اليمنى فنبلغ اليابسة سريعا.

وعـاد الأربعـة يسبحـون بعكس اتجـاه الشنـاخ، الى أرض رملية وصخرية. وكم كانت خيبتهم كبيرة حين ـ بعد اجتيازهم نحو ميلين ـ

فوجئوا بأن البحر حملهم وحط بهم على طرف مساحة صخرية لزجة.
فقال بنكروف:
- انها جزيرة صغيرة، يبدو اننا قطعناها من أقصاها الى أقصاها.
ولكن، هذه الجزيرة الصغيرة المجدبة التي كأنها ملجأ لطيور البحر، هل تكون متصلة بأرخبيل مهم؟ لم يكن ممكنا تأكيد ذلك، في تلك الظلمة الداكنة، لذلك كان عليهم انتظار بزوغ الفجر كي يكملوا بحثهم عن المهندس الذي لم يكن حينئذ قد بدر منه مايرشدهم اليه.
طويلة ومضنية كانت ساعات الليل، في برد قارس، أرهق الاربعة لكنه لم يثنهم عن المواصلة، فكانوا يفتشون بلا انقطاع عبر تلك الجزيرة القاحلة، ينصتون، ينادون، وأصواتهم تخترق البعيد لما كان في تلك الناحية من صمت وهدوء. بعدما سكنت الامواج المجنونة.
مر الهزيع الأخير من الليل. وفي الخامسة صباح ٢٥ آذار، بدأت أشعة الفجر الاولى تخترق ضبابا كثيفاً نشب فوق البحر، حجب حتى الرؤية القريبة، ثم مالبث ان انقشع فدفىء المكان بأشعة الشمس. ومع السادسة والنصف، كان الانقشاع تاما فوق الجزيرة والبحر حتى مدى بعيد، الى الشرق، لأن الجهة الغربية كانت محجوبة بشاطىء مرتفع ووعر شديد الانحدار. وكان هذا دليل طمأنينة لهم بأن اليابسة ليست أبعد من نصف ميل يخترقه تيار سريع من المياه.
فجأة، ومن دون تفكير في العواقب، شب (ناب) الى التيار سابحا، غير مجيب عن نداءات بنكروف. وكاد الصحافي يقفز أيضا لكن بنكروف بادره:
- أتريد عبور هذا القنال؟
- نعم.
- اسمع وثق بما اقول: (ناب) وحده يكفي لانقاذ سيده. ومع الجَزر، قد نجد لنا ممرا من دون خطر.

ـ أنت على حق . فلنفصل، اذن، ماأمكننا .

في هذه الاثنـــاء ، كان (نـــاب) يصـــارع التيار القـــوي بكتفيه السوداوين، ويسبح سريعا صوب الشاطىء حتى بلغه بنحو من نصف ساعـة. عند اسفل حائط صخري صواني مالبث أن اختفى وراءه. وبقي رفاقه يتابعون بأنظارهم مغامرته الشجاعة، حتى انحجب عنهم، فراحوا يفكرون باجتياز هذه المسافة فيما يأكلون بعض الأصداف .

ـ بنكروف، ماذا تقول؟

ـ هاهو الجزر ابتدأ. بعد ثلاث ساعات يمكننا العبور، وهناك نبحث عن المهندس سميث. ولم يكن بنكروف مخطئا في تصوراته. فبعد ثلاث ساعـات، لم يعـد بين الجـزيرة والشـاطىء الا ممر مائي ضيق. ونحو العاشرة خلع بنكروف ورفيقاه ثيابهم، وضعوها حزما على رؤوسهم، واندفعوا في الممر المائي العميق لا أكثر من خمسة أقدام. ولم يطل الامر بهم حتى كنـوا على الشاطىء المقابل، حيث أخذوا يتبادلون الآراء. فعرض الصحافي على البحار ان ينتظره هناك، ثم توجه الى حيث اختفى العبد. وأراد هاربرت أن يرافقه فاقترح البحار:

ـ بل ابق معي. علينا تهيئة مكان لاقامتنا المؤقتة هنا، والسعي الى طعام لنا غير هذهِ الأصداف الرخوة. ثمة مهمة لكل منا .

ومشى بنكروف وهاربرت الى أسفل لجدار الصخري بعدما انحسرت عنـه المياه مع الجزر. وكان بنكروف قد لاحظ عند العمق، على نحو ٣٠٠ خطوة، شقا قد يكون لساقية أو جدول. وكان طبيعيا وجود مياه عذبة صالحة للشرب في تلك الناحية، كما يمكن ان يكون التيار قذف بسميث الى هنا. وكان هاربرت ـ في سيره الى اليسار ـ لاحظ ضخورا عليها طحالب قد يغطيها المد بعد ساعات، فنادى بنكروف الذي هرع وقال:

ـ آ. عظيم . هذا بلح البحر.

ـ بل هي دودات بحرية.
ـ وهل هي تؤكل؟
ـ طبعا.

كان البحار يؤمن بآراء هاربرت لآن هذا متخصص بعلم التاريخ الطبيعي. وآكل الاثنان من تلك الدودات، مما أشبع مؤقتاً جوعهما، لا عطشهما الذي ازداد بعد تناولهما تلك الطحالب المتبلة. لذلك، بعدما جمعا كمية كافية من الدودات، كمؤونة، انحدار صوب عمق الصخر، فاذا فيه، كما تصور بنكروف، جدول ماء يجري في مكان كأنه مشقوق بجوف أحدثه بركان عنيف، فيه جون صغير، عرضه نحو مئة قدم، بين جدارين صوانيين، ثم يلتوي حتى يختفي بين حُرجَه كثيفة. فقال بنكروف:

ـ الماء هنا. والغاب هناك. عظيم. لم يعد ينقصنا الا نصب الكوخ.

كانت مياه الجدول شفافة صافية وعذبة، في ذلك الوقت من الجزر. وعبثا حاول هاربرت ايجاد مكان مجوف، لأن الصخر كله كان أملس، ولا فجوة فيه تصلح كوخا. لكنه وجد، الى أبعد قليلا، بعض الصخور المتراكبة فقال بنكروف:

ـ هو هذا مانسعى اليه. واذا وجدنا (سميث)، سيكون له هنا مكان قد يريحه. علينا إعداد هذا «الكهف». هيا نحضر بعض الوقود.

غادرا «الكهف» صوب ضفة الجدول اليسري، فوجدا كمية من الحطب اليابس. وبقيت المشكلة في نقلها، فقال البحار:

ـ لاتخف يابني. عندي حل لمشكلة النقل: سيكون الجدول خير ناقل لهذا الحطب.

وفعلا: بعد ساعة من العمل، كان الحطب كله في الماء، بانتظار حلول المد بعد ساعات قرر الاثنان ان يمضيا ها عند أعلى الصخر يستطلعان المكان. وإذ بلغاه، وجدا الجدار الصخري ينحدر خفيفا حتى طرف

الغاب ، فتساءل البحار:

ـ أترانا على جزيرة؟

ـ ربما . لكنها تبدو واسعة جدا .

ـ مهما كانت واسعة ، تبقى جزيرة .

ولكن تلك المساحة ، أكانت جزيرة أم يابسة ، بدت خصبة ووفيرة المنتجات .

أمضى الاثنان وقتا في تأمل هذا المكان الذي رماهما فيه قدرهما . ثم عادا الى الكهف بعدما كان «قطار المركب» بلغه ، فكان الهم الاول لدى (بنكروف) جعل الكهف صالحا للسكن ، بسده المنافذ التي يتسرب منها الهواء ، الا واحدا تركه مفتوحا لتسرب الدخان . وهكذا ، قسم الكهف الى ثلاث غرف او اربع ، لايرتضيها حتى الوحش ، لكنها تبقى ملجأ مؤقتا بانتظار الافضل .

بقي إعداد الطعام ، وهو أمر سهل . فوضع البحار مجموعة من الصخور الصغيرة المسطحة عند عمق الرواق الأول الأيسر ، وخزن الحطب في إحدى الغرف ، فيما وضع بضع حطبات على الحجارة الممدوة . سأله رفيقه الفتى :

ـ بنكروف ، هل معك علبة ثقاب؟

ـ لحسن الحظ ، نعم . والا باطلا كان كل مانقوم به .

بحث بنكروف في جيبه عن علبة الثقاب التي لم تكن تفارقه ، لأنه مدمن على التدخين . لم يجدها ولا في جيب ، فتطلع الى هاربرت قائلا :

ـ هذا مذهل . لقد وقعت من جيبي وضاعت . وأنت ، أليس معك ما يوقد نارا؟

ـ كلا .

خرجا الى الرمل ، فيما البحار غارق في تفكيره ، وراحا يبحثان بين الصخور وعند ضفتي الجدول . لم يجدا شيئا ، . فبات عليهما انتظار

(ناب) والصحافي. ونحو السادسة، فيما الشمس تغيب خلف الجدار الغربي العالي، التفت هاربرت فرأى ناب وسبيليت عائدين.. وحدهما.

روى الصحافي عمليات البحث عن (سميث)، وكيف توغل مع (ناب) نحو ثمانية اميال، أي أبعد من المنطقة التي هبط فيها المنطاد في المرة قبل الاخيرة حيث سقط سميث وكلبه. سوى ان الرمل كان مقفراً: لاأثر، لاخطوات.. ويبدو ان المهندس لقي حتفه في تلك الناحية.

هنا انتفض (ناب) وصرخ بكل امل:

لا. كلا. لم يمت. هذا رجل يعرف كيف ينقذ نفسه. آه. إلي.. أشعر بالانهيار.

وهرع اليه هاربرت مبادراً:

- ناب.. ناب.. بلى.. سنجده.. الله سيعيده الينا. ولكن، بانتظار ذلك، أنت جائع، كل قليلا، أرجوك.

وقدم اليه جمعة من الاصداف، رفضها الزنجي لرفضه الحياة من دون سيده. اما سبيليت، فالتهم تلك الدويدات ونام ممدا على الرمل عند أسفل صخرة، فتقدم منه الفتى هاربرت قائلا:

- لقد اكتشفنا ملجأ لنا نرتاح فيه اكثر من هنا. تعال واسترح فيه.

ونهض الصحافي فسار خلف الشاب الى «الكهف»، حيث سأله بنكروف بلهجة عادية جدا اذا كان يحمل علبة ثقاب، فبحث سبيليت في جيوبه حتى وجد قطعة خشبية عالقة في ثنيه سترته. وصعب عليه سحبها فبادره الشاب:

- هل تسمح لي بهذا؟

وبراعة، مد اصبيعه وسحب علبة الثقاب وسط فرحة الجميع وصرخة بنكروف:

- شخاطة!!! آه، انها الآن تساوي حمولة سفينة كاملة..

أخذها بنكروف وقرفص يجمع بعض العشب اليابس، ثم حبس



أنفاسه ووخط الشخاطة فلم تشتعل، لأنه لم يضغط عليها جيدا، فقال:

ـ قد لا أستطيع. يدي ترتجف. وسأتلف الشخاطة سدى.

نهض مسديا إياها الى هاربرت ليفعل، فأخذها هذا بكل انفعال، وقلبه يخفق ومن دون ان يتردد وخطها فانبعث منها ضوء شعلة زرقاء، وقربها من ورقة مطوية مجهزة فاشتعلت، ورماها بين القش اليابس فاشتعل. وماهي إلا لحظات، حتى كان الخشب يطقطق والبحار ينفخ والنار تتقد والظلمة تضيء والدخان يتصاعد في الفتحة الوحيدة المتروكة، ويتوزع الدفء على الحاضرين.

ومع اشتعال النار، بات سهلا الحفاظ على الجمر، والحصول على الاصداف واصطياد بعض اليمامات المرفرفة فوق المكان بضربة عصا أو رمية حجر. وقد يكون فد يكون في اشجار الغابة المجاورة بعض الفواكه الصالحة للأكل، والماء العذب متوفر في الجوار. لذلك، تم الاتفاق على السكن في «الكهف» أياما، ريثما يصار الى مغامرة جديدة.

هذا المشروع ، ناسب ـ بنحو خاص ـ (ناب) الذي بقي متشبثاً في البحث عن سيده في تلك النـاحية، تماما كالكلب الذي لايمكنه أن يغادر المكان الذي سقط فيه سيده، حتى ولو بقي الى أن يموت في المكان.

في ذلك الصباح (٢٦ آذار) قام (ناب) مع الفجر وتوجه شمالا نحو الشاطىء، حيث يعتقد بأن البحر يحاصر سميث. يومها ، كان الغذاء من الدويدات فقط، حتى اذا انتهى ، سأل بنكروف اذا كان سبيليت يصحبه الى الغابة في رحلة صيد مع هاربرت. ولكن المراسل الصحافي فضيل البقاء ليهتم بالنار، فقال البحار:

ـ هيا ياهاربرت الى الصيد، سنجد في الطريق مؤنتنا.

ولدى الوصول الى الغابة، كسر بنكروف من أول شجرة، غصنين جعلهما هراوة، دبب هاربرت طرفها على صخرة، وراحا يتقدمان ببطء لصعوبة الطريق. وبعد ساعة، لم يكونا قطعا سوى ميل واحد، و. . من دون صيد. فجأة ، فررف طيور صغيرة الجسم ملونة الريش، من بين الاغصان، فقال هاربرت:

ـ انها أفراخ.

ـ ولكنها صالحة للطعام، ازاء فقدان سواها

ـ يمكن صيدها بالهراوة.

انسـلا بين العشب، وزحفـا حتى جذع شجـرة كانت تعج بتلك الـطيور السـاهية المنتـظرة مرور الحشرات لالتقـاطهـا طعـاما. فوقف الصيادان على مهل، وانهالا بالقضيب على رف كان ممتدا بطول غصن كامل، فوقع مالايقل عن مئة عصفور، وفر الباقي. فقال بنكروف:

ـ عظيم. هذا صيد يوافقنا. سنحملها ونعود.

وراح البحـار يدخل الطيور في قضيب رفيع، وعادا نحو السادسة مرهقين الى الكهف، حيث كان سبيليت جامدا مكتف اليدين بتأمل في

البحر الذي يمتزج افقه في الشرق بغيمة سوداء كبيرة تصعد سريعة في الفلك. وكان الهواء قد اشتد وبات زطبا مع انطفأ النهار، وينذر بعاصفة مقبلة.

ولج هاربرت الى الكهف وتوجه بنكروف صوب سبيليت الذي لم ينتبه الى وصوله، فبادره ذاك:

ـ الليلة ستكون سيئة. عاصفة ومطر، يطرب لهما طيور النو.

استدار الصحفي وقال كأنه يكمل تفكيرا كان يشغله:

ـ حتى لو عددنا رفيقنا سميث ميتا. فأين الكلب؟ البحر لم يلفظ بعد جثة الكلب ولا سيده.

ـ هذا طبيعي في بحر قوي كهذا.

ـ يعني، أنت أيضا تعتقد بأن رفيقنا ابتلعته اللجج؟

ـ اعتقد ذلك.

ـ أنا أرى أن أختفاء سميث وكلبه أمر غير ثابت.

ـ أحب تفكيرك، لكن قناعتي ثابتة.

في الثامنة مساء، لم يكن (ناب) قد عاد بعد. ظن الجميع ان حالة الطقس أعاقه عن العودة، فالتجأ الى فجوة صخرية بانتظار هدوء العاصفة او عودة النهار، ومن المستحيل البحث عنه او ايجاده.

كان الصيد وليمنة العشاء الشهية، ثم انسحب كل واحد الى الزاوية التي نام فيها الليلة السابقة، بينما في الخارج تشتد العاصفة كلما تقدم الليل. وفي نحو الثانية بعد منتصف الليل كان بنكروف ينام عميقا حين شعر بهزة عنيفة فاستيقظ صارخا:

ـ هاه.. ماهذا؟؟

واذا بالصحافي هو المنحني فوقه ويقول:

ـ هذا أنا، بنكروف، أنا. أظن انني سمعت جيداً..

ـ سمعت ماذا؟؟؟

ـ نباح كلب.
ـ مستحيل.. وكيف تسمع نباحا وسط زمجرة هذه العاصفة المجنونة؟
ـ هه.. أسمع الآن. أنصت جيدا..
وأرهف بنكروف سمعه فتهيأ له ـ هو الآخر ـ وسط ثوان من هدوء العاصفة، سماع نباح بادره الصحافي:
ماذا؟؟
ـ صحيح. أنت على حق.
صرخ هاربرت:
ـ هذا توب. هذا توب.
وهرع الثلاثة الى مدخل الكهف، ليجدوا فعلا كلب المهندس، انما.. وحده: من دون سميث ومن دون ناب. فكيف قادته غريزته الى هذا المكان؟ والاغرب أنه لم يكن مرهقا ولا مبللا ولا ممرغا بالوحل والرمل. فسحبه هاربرت اليه وضغط رأسه فتركه الكلب يفعل وهو يحك رقبته على زند الفتى قال سبيليت:
ـ اذا وجد الكلب، يعني اننا سنجد صاحبه.
فأجاب هاربرت:
ـ ان شاء الله. هلموا بنا. توب، هيا: ستقودنا أنت.
أحسن بنكروف بأن وصول الكلب سيدحض قناعته، فقال:
ـ نلطلق فوراً.
وغطى جمر المدخنة حتى يحفظ النار للعودة، وخرج يسبقه الكلب النابح كما ليدعوه الى اللحاق به، مع سبيليت وهاربرت.
في السادسة صباحا، بزغ الفجر وكان الثلاثة على نحو ستة اميال من الكهف، يسيرون على بساط رملي يحده من جهة سد من الصخور العالية، ومن الاخرى كثبان رملية متفرقة تعطي المكان مشهد غابة برية

من شجر ورمل.

فجأة، راح توب يهتز نابحا ملوحا بذنبه، متصدرا الثلاثة، حاثا البحار على الاسراع، ثم انحرف عن البساط الرملي الى دغل قريب، فتبعه الثلاثة الى ذلك المكان المقفر.

بعد خمس دقائق، كانوا أمام فجوة على مقلب كثيب رملي، حيث توقف الكلب نابحا بقوة، فولج الجميع الفجوة ليجدو (ناب) جاثيا عند جسد ممدد على كومة عشب.

كان ذاك، جسد المهندس سايروس سميث.



- ٣ -

كان (ناب) جامداً، فبادره البحار:

- حي؟؟

لكن (نـاب) لم يجب. من المه وقهره، لم ير رفاقه ولا سمع سؤال البحار. فجثا الصحافي قرب الجسد الممدد، واضعا أذنه الى صدره. ومـرت دقيقـة - بل دهر - وهو يتفحص ، علة يحظى بخفقة قلب، فتململ (ناب) قليلا وهو ينظر حوله. بدا مرهقا عييا مصدوما، لظنه بأن سيده مات. وبعد دقائق (كم طويلبه!) صرخ سبيليت:

- حي . . حي . . انه حي . . فلننقذه.

إنتعش (ناب) لهذه الكلمات، فعرّى سيده ليتفحص جسده فاذا به سالم من أي خدش، مع انه - على الارجح - تدحرج بين الصخور. حتى يداه كانتا سالمتين. وتولى البحّار تدليكه حتى بدا يعطي أولى اشارات التحرك من يديه وانضباط حركة تنفسه.

عندها راح ناب ـ وقد اطمأن ـ يروي تفاصيل ماحدث :

عند العشية ، بعدما كان غادر الكهف مع الفجر، توغل في الشاطىء شمالا وبلغ الناحية التي كان قصدها من قبل . .

ـ توغلت نحو ميلين الى الداخل ، متفقدا كل المساحة الرملية ، وأنا شبه يائس من ايجاد سيدي ، الى ان ـ أمس في نحو الخامسة ـ رأيت على الرمل آثار قدمين .

صرخ هاربرت :

ـ آثار قدمين؟ ؟

ـ نعم . حين رأيتها ، جننت فرحا ، وتبعتها حتى الكثبان مسافة ربع ميل . بعد خمس دقائق ، ومع هبوط الليل ، سمعت نباح كلب . كان (توب) . وهو الذي قادني الى هنا .

ـ الصحافي : اذن ، يا(ناب) لست انت من حمل الجسد الى هنا؟ـ ناب : كلا .

ـ بنكروف : يعني . . جاء سميث الى هنا وحده . .

ـ سبيليت : هذا بديهي . لكنه غريب ، ولاتفسير له .

وفعـلاً ، لم يكن تفسير ذلك ممكنا الا من فم المهندس ، حين يستعيد قواه . وماهي ، حتى حراك سميث يديه مجددا ثم رأسه ثم تلفظ ببعض عبارات غير مفهومة ، وأخيرا فتح عينيه فصرخ ناب :

ـ سيدي . . سيدي . .

سمعـه المهنـدس ، فجـال بعينيه على الحاضرين ، ومد اليهم يده تباعا ، ثم تمتم :

ـ على اليابسة نحن ، أم على جزيرة؟ ؟

فأجابه بنكروف :

ـ ماهم . المهم ، سيد سميث ، أنك حي . فيما بعد نتأكد لقد جعلنا لنا كهفا هناك ، الى الجنوب ، جهزنا فيه بعض طيور طعاما من صيد

رفيقنا هاربرت. مكان نومك جاهز، وحالما تشعر بالقدرة على التحرك، ننطلق.

- شكرا ياصديقي. قد أتحرك بعد ساعة او ساعتين. سبيليت، قص علي ماجرى

- وهل يمكنك الاصغاء الي من دون أن تنزعج؟

- نعم. هيا.

وراح الصحافي يقص كل ماجرى، فبادره سميث مستغربا:

- يعني.. أما أنتم نقلتموني الى هنا؟؟

- أبدا.

- و.. هذه المغارة التي نحن فيها الآن. كم تبعد عن صخور الشاطىء؟

أجاب بنكروف:

- نحو نصف ميل. ونحن كذلك مستغربون أن تكون أنت هنا.

- فعلا. هذا أمر غريب.

وسأله بنكروف أن يروي لهم ماجرى له. لكن سميث لم يكن يعلم الا القليل: صدمة الاعصار البحري اقتلعته من شبكة المنطاد، فوقع في لجة عميقة. وحين عام على وجه المياه، في تلك الظلمة غير الشديدة بعد، أحس بكائن حي يتحرك الى جانبه: كان ذلك (توب) الذي قفز الى مساعدته. رفع عينيه فوجد الشاطىء على نحو نصف ميل منه، فقرر مصارعة الأمواج حتى بلغ اليابسة، وأخذ (توب) يشد به من ثيابه. لكن تيارا قوياً واجهه وسحبه نحو الشمال. وماهي الا ثوان حتى غرق وأغرق الكلب معه.

ومنذ تلك اللحظة، لم يعد يذكر شيئا.

قال بنكروف: ولكن.. ثمة من حملك الى الشاطىء، وتجالدت أنت حتى وصلت الى هنا، مادام ان ناب رأى آثار قدميك على الرمال.

قال سميث: ربما. . لاأذكر. وأنتم، ألم تجدو آثاراً بشرية في هذه الناحية؟

قال سبيليت: أبدا.

قال سميث: أما زال بعض هذه الآثار واضحا؟

قال ناب: نعم. عند المدخل، على مقلب هذا الكثيب. والباقي محته العاصفة.

قال سميث: بنكروف، هل تأخذ حذائي وتذهب فتتأكد اذا كان يطابق الآثار على الرمل؟

وخرج البحار وناب وهاربرت، ليعودوا بعد لحظات مؤكدين مطابقة القياس بين الحذاء وأثره على الرمال. فقال سميث:

ـ أذن، يبدو أنني مشيت كالمروبص، وأنا لاأعي.

نحو الظهر، سأل بنكروف اذا كان سميث بات يستطيع التحرك، فنهض واتكا على البحار، فطلب بنكروف المجيء بالحمالة التي جمعوها خصيصا، ومددوا عليها المهندس وتوجهوا الى الشاطىء، يحمل بنكروف طرفا منها، وناب الطرف الآخر.

في الخامسة والنصف مساء، وصلوا الىالكهف، ففوجىء بنكروف بأن العاصفة المجنونة غيرت المعالم وأحدثت الانهيارات، وعلى المدخل كانت الارض حفرة تغمرها مياه الامواج. فقفز بنكروف الى الرواق فورا، وعاد ليقف امام رفاقه مذهولا: لقد انطفأت النار، وتبلل الرماد فبات وحلا، ودخل البحر الى عمق الكهف وأتلف كل ما فيه.

صباح اليوم التالي (٢٨ آذار) حين استيقظ سميث، كانت اولى كلماته، تلك الفكرة التي بدت كأنها هاجسه:

ـ يابسة. . أم جزيرة؟؟

فقال سبيليت:

ـ لانعرف اذا كنا على اليابسة ام على جزيرة. ولكن، أين تعتقد،

ياسميث، ان العاصفة رمتنا؟

ـ لايمكنني الجـزم. لكن القـرائن تشـير الى مكـان ما في المحيط الاطلسي. اذا كان هذا الشـاطىء هنـا لجزيرة قفـراء في الارخبيل الميكرونيزي، يمكننا تبين ذلك بصعودنا الى هذه القمة فوقنا، فنفهم اننا محكومون بالبقاء هنا نهائيا.

فصرخ سبيليت:

ـ نهائيا؟؟؟؟ تقول نهائيا؟؟؟

ـ فلنر أولا، ولنرتق القمة.

قال هاربرت: ولكن ياسيد سميث، هل تحتمل مشقة هذه الارتقاء؟

رد سميث: آمل. شرط أن تكون أنت وبنكروف صيادين ماهرين.

قال البحار: ولكن، هب انني اصطدت، فكيف نشوي الطرائد؟

قال سميث: اصطدها، ثم نرى.

وتم الاتفـاق على ان يبقى المهندس والصحافي في الكهف، لتفقد الشاطىء والمنبسط الذي فوقه، والتلة.

في هذه الاثنـاء، عاد الثـلاثة الى الغابة للصيد، في نحو العاشرة صباحا. كان هاربرت هادئا، وناب فرحا، والبحار يتمتم:

ـ اذا رجعنا وكانت النار في الكهف، فهذه أعجوبة..

واستمروا.. يتصدرهم (توب) قافزا بين الأعشاب، وهم يتوغلون الى الداخل، لاتقودم درب ولا علامات. مرت ساعة ولم يصطادوا أية طريدة، فعلق ناب:

ـ بنكروف، اذا كان هذا هو الصيد الوفير الذي وعدت به سيدي، فلن نحتـاج الى نار له قوية. ثم جنـح العبد الى ناحية دخلها الكلب وامتـزج، نبـاحه فيها بأصوات أخرى غريبة. لحق بنكروف وهاربرت بالعبـد آملين ان يجـدا طرائد. ومادخلوا في تلك الأجمة، حتى أ

الكلب يعض حيوانا من أذنه: انه من ذوات الاربع، نوع من الخنزير البني الضامر البطن القاسي الوبر. ظنه هاربـرت نوعـا من الكابياء (حيوان من القواضم يعرف بخنزير الماء، ويعيش في اميركا الجنوبية). لم يكن يقاوم الكلب بل يجيل عينيه بانبهار وخوف. هيأ (ناب) القضيب في يده ليضرب به الحيوان، لكن هذا أفلت من أنياب الكلب وجـأر هاجـما على هاربـرت فرماه أرضا واختفى في الدغل. لحق به (توب) ولحق الثلاثة بالكلب حتى وصلوا الى حيث غل الحيوان: بحرة واسعة تظللها أشجار عالية من لصنوبر الدهري. توقف الثلاثة جامدين، فيما قفز الكلب الى الماء حيث اختفى الحيوان. قال هاربرت:

ـ لننتظر قليلا. سيخرج بعد هنيهة الى سطح كي يتنفس.

وكان على حق. فبعد دقيقة، ظهر الحيوان على صفحة المياه، فقفز الكلب وجره الى الضفة حيث أرداه (ناب) بضربة من هراوته. أخذه بنكـروف وعلقـه في كتفـه مطلقـا صرخة ابتهاج، وأمر بالعودة فقفلوا عائدين صوب الكهف. ولم يتقدموا خمسين خطوة حتى صرخ بنكروف ابتهاجا من جديد وهو يشير الى البعيد: انه الدخان يتصاعد من بين الصخور.

بعـد دقـائق، كان الثلاثة امام المكان، حيث سميث والصحافي، فتطلع فيهما بنكروف حاملا الحيوان، فيما قال سبيليت:

ـ نعم، نعم. انها النار. وبها سنشوي هذه الطريدة اللذيذة

ـ ولكن . . من أشعل النار؟

ـ الشمس.

لم يصدق البحار عينيه. كان في قمة ذهوله. فقال هاربرت لسميث:

ـ اذن، هل كان معك عدسة؟

ـ كلا. بل صنعت واحدة.

ورفع سميث الأداة التي استعملها عدسة، فاذا هي من زجاجتي ساعتي يده والصحافي، ملأهما ماء ووضع على محيطهما بعض الصلصل فكونا عدسة حقيقة ما انعكست عليها أشعة الشمس وأصابت قطعة قماش جافة تماما حتى اشتعلت القطعة فأشعل بها سميث النار.

تأمل البحار الأداة وصرخ:

ـ سيد سبيليت، دون هذا في دفترك.

ـ لقد فعلت.

وماهي الا دقائق حتى كان الحيوان يشوي على نار قوية.

في اليوم التالي (٢٩ آذار) استيقظ الجميع مرتاحين ومستعدين للقيام بتلك المغامرة التي ستقرر مصيرهم.

كان كل شيء جاهزا للانطلاق، وبقايا الحيوان تكفيهم طعاما للأربع والعشرين ساعة المقبلة، على أمل ان يجدوا مايقيتهم في الطريق. وبما أن الزجاجتين أعيدتا الى الساعتين، أحروق بنكروف بعض القماش لاستعماله صوفانا، على اساس ان الصوان متوفر في هذه الناحية البركانية.

في السابعة والنصف صباحا، حمل المغامرون قضبانهم وغادروا الكهف. ووفق نصيحة بنكروف سلكوا طريق الغابة ـ الأقرب الى بلوغ



قمة الجبل ـ من الجهة الجنوبية مع الضفة الشمالية للساقية التي تركوها عند المنعطف الجنوبي الغربي. وتبعوا آثار اقدامهم في المرور السابق. وفي التاسعة، بلغوا الطرف الغربي من الغابة.

كان الجبل من قسمين مخروطين، الاول يعلو ٢٥٠٠ قدم ، وعلى قاعدته دعامات صخرية، تتخللها ممرات ضيقة كثيفة الأشجار. وعلى قمة القسم الأول، يقوم القسم المخروطي الآخر المدور الرأس على بعض انحناء ، وهو من بعض فجوات ترابية ذات صخور محمرة.

كان على الخمسة بلوغ قمة القسم الآخر عن طريق دعامات المخروط الأول. وعند الظهر استراحوا يأكلون عند ضفة ساقية تسقسق شلالا صغيرا، وكانوا قد بلغوا منتصف المسافة من المخروط الأول الذي ا. يبلغوه قبل الليل.

عادوا الى لصعود في الساعة الواحدة، منحرفين نحو الجنوب الشرقي ، في الاماكن الممكن سلوكها ولو بصعوبة ، وكان على واحدهم ان ينظر جيدا أين يضع قدميه والا سقط في الهوة السحقية. وفجأة صرخ بنكروف : «أغنام»، والتفت الجميع فإذا على خمسين خطوة منهم ستة حيوانات كبيرة الجثة طويلة القرون ملتفتها ومدببة كثيفة الصوف الوحشي اللون. لم تكن أغناما عادية بل نوع من التي تكثر في المناطق الجبلية ذات الطقس المعتدل. سأل البحار الفتى هاربرت :

ـ هل لهذه أيضا أفخاذ وأضلاع؟

ـ طبعا.

وكانت الاغنام جامدة بين الصخور البركانية، تتفرس بعيون مستغربة في الكائنات البشرية أمامها، حتى اشتد خوفها فقفزت هاربة بين الصخور، فيما بادرها بنكروف ساخرا: «الى اللقاء»، وضحك الجميع.

خمسمئة خطوة فقط كانت تفصل بين المغامرين والمكان الذي

يقصدونه ليخيموا عليه، انها الطريق وعرة المسالك والليل هبط. وكانت مرت سبع ساعات على سير الخمسة الشاق، حين بلغوا مسطح المخروط الأول، وقرروا ان يستريحوا.

وفيها البحار يسوي المكان بصخور أعدها لهذه الغاية، راح هاربرت وناب يهيئان الوقود من الاشواك البرية. وجمع القماش المحروق شرارات الصوان التي نفخ فيها (ناب) فاشتعلت النار في ثوان بين حنايا الصخور، وخففت بعض الصقيع ولم يتم استعمالها لشيّ الطعام.

في اليوم التالي (٣٠ آذار) بعد غداء سريع، أراد المهندس مواصلة ارتقاء القمة كي يستكشف المكان، فتبعه رفاقه وبلغوا كتف المخروط الهائل في طقس جيد مشمس وسماء صافية. وماهي إلا دقائق حتى تتكسر عند اقدامه. أما داخل الفوهة، فمما يرتقى بسهولة. لذلك، قبل الثامنة، كان الخمسة مجتمعين على قمة الفوهة عند انتفاخ مخروطي من الجهة الشمالية. والتفتوا فصرخوا جميعهم: «البحر.. البحر من كل الجهات..»، كما لو أن شفاههم لم تستطع ضبط هذه الكلمة التي جعلت منهم جزيريين ربما مدى الباقي من حياتهم.

ومن المحيط الواسع، التمعت عيونهم الى انحاء الجزيرة، وكان السؤال الأول من سبيليت:

فكر سميث قليلا، وهو يتأمل محيطها، ثم قال:

ـ يبدو لي قطرها نحو مئة ميل (أي نحو ١٦٠ كلم).

أما داخل الجزيرة فكان مشجرا في قسمه الجنوبي من الجبل حتى الشاطىء ورمليا في قسمه الشمالي. وبين الجبل البركاني والضفة الشرقية، فوجىء المغامرون برؤية بحيرة تسورها أشجار خضر. أشار هاربرت لسميث:

ـ أرى هناك ساقية صغيرة.

ـ فعلا. وبما انها تغذي البحيرة، فربما من ناحية البحر مصب.

وكان السؤال الكبير: هل هذه الجزيرة مسكونة؟ فهم لم يجدو فيها أثر العودة، قال لهم بصوته الهادىء العريض:

- أصدقائي، هنا شاءت العناية الالهية ان تضعنا . وهنا سنعيش ما تبقى من حياتنا. ان هذه الجزيرة تبدو غير مهمة، اذن خارج اهتمام السفن التي تمر بأرخبيلات الأطلسي. لاأريد ان أخفي عنكم شيئا من الواقع. لذا، أتكل على طاقتكم وعلى معونة السماء.

عندها قال بنكروف:

- هلموا الى الكهف اذن.

فاضاف المهندس:

- مهلا باأصدقائي، فلنعط إسماً لهذه الجزيرة وهذه الرؤوس والشناخات والجداول.

وافق الجميع على الفكرة، وراحوا يتأملون المكان المنبسط أمامهم كما خريطة، فسموا:

خليج «الوحدة»، خليج «واشنطن»، قمة «فرنكلين»، وسموا البحيرة «غرنت». ثم اقترح الصحافي:

- أما شبه الجزيرة المنبسط الى الجنوب الغربي، فأقترح تسميته «الثعبان». وهذا الذنب الملتف في ذيله: «الزحاف.

قال المهندس: أنا أوافق.

وقال هاربرت: وهذه الناحية هناك، حيث الخليج الفاغر فاه، نسميها خليج «القرش».

وقال بتكروف: جيد. ونسمي شقي فكه «رأس الفكين». ويبقى رأس الطرف الجنوبي الشرقي من الجزيرة.

وتساءل هاربرت: تقصد طرف الخليج «الوحدة»؟

وقال ناب: نسميه »رأس المخلب».

كان بنكـروف منشرحا الى ماكانت تؤول اليه الأمور ، وامتد بهم الخيال الى تسميات أخرى: ساقية «الشكران»، جزيرة «الخلاص» ، مطل «المرأى الواسع»، غابات «الغرب البعيدة.»

وانتهت عملية التسميات ، وكادوا يعودون فصرخ بنكروف:

وجزيرتنا نحن هنا؟

فأجاب سميث:

- نسميها على اسم المواطن الذي يكافح من أجل وحدة الجمهورية الاميركية: جزيرة لنكولن. وأطلق مغامرو جزيرة لنكولن صرخة موافقة، وألقوا نظرة اخيرة ثم بدأوا يستديرون حول الفوهة. وبعد نصف ساعة كانوا قد انحدروا الى قمة المخروط الأسفل حيث سيمضون الليل.

اقـترح سميث طريقـا آخر للنزول الى الكهف، راغبا في اكتشاف بحـيرة غرانت المحـاطـة بالاشحـار . وافق الجميع وأخـذوا يسـيرون مستعملين، منذئذ ، التسميات التي هم أطلقوها على الاماكن، واتفقوا ان يبقوا فريقا واحدا فلايبتعد واحدهم عن الآخر.

اجـالا ، كان بنكروف وهاربرت وناب يمشون في الطليعة، يتقدمهم (توب) مفتشا في كل الزوايا. وكان سبيليت وسميث يترافقان، الاول آخذا ملاحظات حول كل مايراه ، والآخر صامتا أكثر الاحيان، منحيا من وقت الى وقت لالتقاط بعض مايراه ، فيضعه في جيبه من دون أي تعليق، فيما بنكروف يفكر: «ماتراه يجمع؟ لاأرى قيمة لما يلمه».

وكـان (توب) يفتش باهتمام ليشبع جوعه أولا. فهو يصطاد ليؤمن طعامه، وناب يراقبه باستمرار، مما كان مفيدا، اذ في نحو الثالثة بعد الظهر، اختفى الكلب بين الاشواك، وماهي إلا دقائق حتى صدرت أصوات دلت على انه اشتبك مع حيوان. فأندفع ناب ووجده فعلا يلتهم حيوانا ذا أربع، وحوله اثنان آخران قد ارادهما. حمل كلا منهما بيد، وعاد. كان الواحد بحجم ارنب بري، أصفر الوبر على بقع خضر قصير

الـذنب جدا. انـه الارنب الامـيركي، الـطويل الأذن، ذو الطواحن الخمس في كل فك.

صرخ بنكروف:

ـ عظيم. ها ان العشاء جهز. يمكننا ان نعود.

وكـان الخمسـة قد بلغوا الضفة الغربية من بحيرة غرانت، فراحوا يتـأملونهـا مساحة جميلة محروسة بالاشجار المتنوعة، يطل من بينها الأفق في البعيدة، وزغردات العصافير تملأ المكان. قال سبيليت لسميث:

ـ بحيرة ساحرة. يمكننا العيش على ضفافها.

ـ وهو كذلك. سنعيش هنا.

لكن ترتيبـات العشـاء فرضت العـودة، فعادوا من الضفة الشمالية لبحيرة الشكران، حتى بلغوا الكهف.

بعد العشاء، وقبل النوم، سحب سميث من جيبوبه نماذج مختلفة من القطع، وقال:

ـ هذه، يارفاقي، أعمال الطبيعة تمنحها لنا. وعلينا، نحن بدءا من غد، أن نقوم بأعمالنا.



- ٤ -

صباح اليوم التالي، سأل بنكروف :

- اذن ياسيد سايروس، من أين نبدأ؟

- من بناء فرن .

- فرن؟ ومافائدته؟

- لصنع الأواني الفخارية؟

- وبم نبني الفرن؟

- بالقرميد .

- وبم نصنع القرميد؟

- بالطين والصلصال . هلموا، يارفاقي، وتوفيراً لوقت التنقل، حيث نعمل . (ناب) يأتينا بالمؤونة، والنار لن تنقصنا .

قال سبيليت : ولكن ماذا اذا تنقصنا المؤونة بفقدان أدوات الصيد؟

وقال البحار: آه، لو معي سكين . لكنت صنعت فورا قوسا ونشابا،

ولكانت الطرائد تفيض علينا.
ردد سميث: سكين .. شفرة قاطعة.
قالها سميث لنفسه والتفت الى الكلب على الشاطىء ، وفجأة ناداه : «توب، تعال فورا».
فهرع الكلب الى سيده الذي فك له طوقه وأعطاه الى بنكروف مكسورا قطعتين قائلا:
- بنكروف ، هاك سكينان.
فأطلق البحار صرختين من فرحه لحصوله على مشفري الطوق الرقيقين القاطعين. كان يكفيه ان يسنهما على صخر صلب. ولم تمض ساعتان حتى كان مع الفريق سكينان قاطعان. وبدأت رحلة العمل.
في الطريق، اكتشف هاربرت شجرة كان هنود اميركا الشمالية يستعملون اغصانها اقواسا، فاقتطع منها الطويل المستقيم، وبقي إيجاد نبته تصلح ان تكون حبلا للقوس، فوجدوا واحدة من فصيلة الخبازيات ذات الجذوع المتينة، وكانت لبنكروف أقوس قوية لم يكن ينقصها سوى النبال، فتم صنع هذه أغصان مستقيمة وقاسية من دون عقديات. لكن أطرافها لم تكن مدببة بما فيه الكفاية.
بلغ المغامرون مكانا كانوا بلغوه العشية، فيه صلصال خزفي فعمدوا الى تنظيفه بالرمل، وجلب الخزف وطبخه على النار. ولم يكن ممكنا وضع الخزف في قوالب، كما يتم عادة، فقولبها المهندس بيديه في حين استمرت حملة الصيد في الجوار، بعدما بات بنكروف يمتلك أسهما مسنونة وجاهزة، وفي رأسها أشواك قاسية حملها (توب) وتم تثبيتها جيدا في مكانها. وتمرن هاربرت وسبيليت على الرمي، فامتلأ الكهف بالطرائد من مختلف الطيور.
منذ فجر السادس من نيسان، كان الخمسة مجتمعين عند الفرجة حيث سيصار الى طبخ القرميد، فوضع على الارض وبدأت صناعته

وقولبته بشكل مكعب كبير محاط بالقرميد المجفف. واستغرق العمل فيه طوال النهار. وهكذا طوال ٤٨ ساعة، حتى احترق القرميد تماما ونجحت العملية، فتركوه يبرد فيما عمد سميث وناب وبنكروف الى تسقيف مسطح من أغصان كثيفة مدوا عليه احجارا كلسية وجدوها شمالي البحيرة، ما أن بلغتها حرارة النار حتى تفتتت الى كلس كون لياط (أي خليطا من رمل وكلس) ممتازا. ومن كل هذا، تكون لدى المهندس يوم ٩ نيسان عدد كبير من أحجار الكلس والقرميد.

عندها، بدأ بناء الفرن الذي بفضله ستشوى الطرائد في اوانٍ فخارية. وكانت العملية ناجحة وبعد خمسة ايام، ملأوا الفرن بالفحم الحجري الذي وجد المهندس مخبأ له، وماهي إلا دقائق حتى شبت النار وعلا دخانها أقداما مرتفعة، وأول ما صنعوه: أو ان تصلح لطبخ الاطعمة.

مساء الخامس عشر من نيسان، عاد الجميع نهائيا الى الكهف، ناقلين الأواني وتاركين الفرن ينطفىء بانتظار استعمال آخر فيما بعد.

في ١٧ نيسان، قال بنكروف لسبيليت:

ـ ماعملنا اليوم؟

ـ ما يأمر سميث به.

ومن فخارين، كان على رفاق المهندس أن يصبحوا معدنين. وكان ضروريا استغلال كميات الركاز (معدن غير خالص)، التي شاهدها المهندس في الناحية الشمالية الغربية من الجزيرة. وهي ممتزجة بالاوكسجين والكبريت كما كل المعادن غير الخالصة في باطن الأرض. والنموذجان اللذان حملهما سميث: الأول حديد ممغنط غير محول الى كاربون، والآخر بوريطس (كبريت الحديد). لذا كان يجب نزع الأوكسجين عن الأول، للحصول عليه خالصاً.

قال بنكروف لسميث:

ـ سنعدن الحديد اذن؟

ـ نعم. ولهذا يجب أن نقوم في الجزيرة بحمله صيد عجول البحر.

ـ عجول البحر؟ وهل نحتاجها لصنع الحديد؟

ـ نعم.

وغادر المهندس الكهف، فيما استعد بنكروف لصيد الفقمات (عجول البحر) من غير أن يفهم السبب، اجتمع سميث وهاربرت وسبيليت وناب والبحار على الرمل عند نقطة من القناة يمكن عبورها عند الجزر، فعبروها وتفرقوا وراء الصخور مترقبين بكل صمت.

بعد نحو ساعة ، كانت على الرمل ست فقمات ممددة، فتحرك اليها بنكروف وصرخ، فهرع الباقون الى الوقوف بين الفقمات والبحر، لكن اربعا منها تسللت الى المياه برعب وغضب، فيما سقطت اثنتان تحت ضربات العصي، فقال بنكروف:

ـ هاك فقمتان ياسيد سميث.

ـ ممتاز، سنجعل منهما منفخين لكور الحدادة.

ـ ماذا ؟؟

ولم يشرح سميث كيف سيتعمل جلديهما لهذا الأمر.

في اليوم التالي، بدأ العمل على (مرحلة التعدين»، كما سماها الصحافي في مذكراته. وكان المهندس قد قرر الاعتماد على الفحم لحجري والمعدن، حيث وجدهما، أثناء مشاهداته، عند أسفل الناحية الشمالية الشرقية من جبل فرنكلين، أي على نحو ستة اميال. واذا لم يكن ممكنا الذهاب الى هناك والعودة يوميا، تم الاتفاق على التخييم في كوخ يصنعونه من الاغصان.

ومع صباح اليوم التالي، انطلقوا، يحمل ناب وبنكروف ـ على حصيرة ـ آلة النفخ، وكمية من المؤونة. وظلوا يمشون حتى الخامسة مساء، حين أمر المهندس بالتوقف للاستراحة . وكان على مئة خطوة

منهم جدول عذب المياه، فنصبوا الخيمة، بأقل من ساعة ، على حدود الغابة، من مجموعة أغصان كثيفة متعارشة ممزوجة بالطين الصلصالي .

في اليوم التالي (٢١ نيسان) توجه سميث، ومعه هاربرت، الى البقعة التي كان رأى فيها نماذج من المعدن غير الخالص، وهي عند الجدول تماما، في الناحية الشمالية الشرقية. وكانت تلك النماذج غنية بالحديد، ومناسبة لما ينوي المهندس فعله، وهو بناء أفران وفجوات يضع فيها المعدن والفحم في طبقات متراتبة، فتتحول وتتخلص . وكان ، تحديدا يريد من المعدن والفحم جعل جسم مكعب يوجه هواء منفخة الى قلبه. وهي الطريقة التي استعملها حتما اوائل المعدنيين في المناطق الآهلة.

كانت العملية صعبة، ويلزمها صبر وفن. لذلك، بعد جهود جمة ومشقة طويلة، كانت قطع من الحديد مصهورة يوم ٢٥ نيسان، ومحولة الى معدات وأدوات مختلفة عددها بنكروف وناب «جواهر ثمينة» .

لكن ذاك المعدن لم يكن حديدا خالصا، بل في حالة صلب هو مزيج من الحديد والفحم، يستخرج من السبك بعد استخلاص مزيد الفحم منه، او من الحديد بعد اضافة الفحم الذي ينقصه. هكذا يعطي الاول الفولاذ الطبيعي، فيما الآخر ـ الناتج عن كربنة الحديد ـ يعطي كربنة الفولاذ (بسقاية المعادن وتقسيتها) .

كان ميل سميث الى هذا الأخير، مادام هو يملك الحديد الخام. ونجح في ذلك بصهر الصلب مع مسحوق الفحم في فجوة من التراب القوي. ثم انهال على هذا الفولاذ بالمطرقة، فيما اتبع ناب وبنكروف التعليمات فصنعوا حديد فؤوس حموها حتى الاحمرار ثم غطسوها بالمياه الباردة فتكونت لديهم سقاية جيدة. كما صنعوا أدوات أخرى جعلوا منها مناشير وآلات عديدة.

ولم يعد الخمسة الى الكهف الا يوم ٥ أيار. واليوم التالي، صادف السادس من نوفمبر في مناطق نصف الكرة الشمالية، فادلهمت السماء

بضعه أيام ووجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة للسكن الشتوي، مع أن الحرارة لم تكن تدنت كثيرا.

على أية حال، كان موسم المطر قد اقترب، ويجب توقع تقلبات غريبة ومفاجئة بل رهيبة، في هذه الجزيرة المنعزلة، المعرضة لرياح المحيط وسط هذا الاطلسي الشاسع. لذلك، كان التفكير جديا في اختيار مكان آخر غير الكهف، خاصة ان البحر اجتاح الكهف ويمكن ان يتعرض له من جديد. قال سميث:

ـ من هنا، علينا اتخاذ بعض الاحتياطات، كأن نقيم قريبا من جدول ماء، وتتذكرون أننا ـ من قمة جبل فرنكلين ـ لم نر ساقية او جدولا في كل الناحية الغربية. بينما هنا، نحن بين بحيرة غرانت وساقية الشكران. وهذه فرصة يجب ان نستثمرها.

خرجوا الى البحث، في مساحة نحو ميلين، بدقة شديدة. لم يجدوا ـ ولا في مكان ـ ماكانوا يرجونه، فكان عليهم الاكتفاء بالكهف، الملجأ المؤقت الوحيد الذي كان اكتشفه بنكروف. وبعد البحث الطويل كان الخمسة عند الزاوية الشمالية من الجدار العالي المنتهي بتلك المنحدرات الممتدة حتى أنحائها على الرمل. وكانت ملأى بنتوءات، ومشكوكة أشجارا ومفروشة عشبا، انما كل ذلك لمساحة قصيرة لاتلبث ان يجتاحها الرمل من التله حتى الشاطىء.

فكر سميث بأن البحيرة قد تجد لها هنا مكانا لتصريف مياهها، فاقترح على رفاقه الصعود الى التله وبلوغ الكهف من هناك، كاشفين على الضفاف الشمالية والشرقية من البحيرة. وافقوا، وفي دقائق معدودة كان هاربرت وناب عند المسطح الاعلى يتبعها سميث وسبيليت وبنكروف في خطى واثقة.

على مئتي خطوة، صوب المساحة الخضراء، كانت صفحة المياه تتمرى تحت اشعة الشمس، في لوحة طبيعية رائعة، تتحرك فيها



الاشجـار المصفـره الاوراق، تتغلغـل بين أغصـانهـا رفوف كثيره من العصافير تتنقل مزقزقة من غصن الى غصن.

وعوض ان يتوجه المغامرون مباشرة الى الضفة الشمالية من البحيرة، داروا حول الحوض ليبلغوا الضفة اليسرى، في نزهة كانت سهلة لأن الأشجـار كانت متباعدة، ويسهل بينها المرور . ثم وصلوا الى حيث يقصدون ، وسط دهشة المهندس من عدم رؤيته مصبا للماء.

وماهي إلا دقائق، حتى نبح (توب)، بعدما كان، طوال الطريق، هادئـا، وأخـذ يقفـز في المكـان، ويتـوقف لينظر الى الماء ثم ينبح ثم يصمت. ناداه سميث فهـرع اليه في قلق وهلع، ثم عاد الى المكان، وجمد لحظات، قفز بعدها مباشرة الى البحيرة وسط نداءات سيده أن يعود من السباحة في هذه المياه المشبوهة.

هرع الجميع الى الضفة، وكان الكلب قد سبح نحو عشرين خطوة، لايصغي الى نداءات سميث. وما هي إلا لحظات حتى ظهر من تحت الماء رأس هائل مخروطي كبير العينين طويل الشاربين كثيف الشعر، عرفه هاربرت فصرخ:

ـ انه أطوم (حيوان ثديي مائي يشبه السمك).

هجم الحيوان الهـائل على الكلب الذي حاول عبثا الافلات منه، لكن الا طوم اعـاده معـه الى تحت المـاء قبل ان يتسنى لسبيليت او هاربرت ان يجهزا النبال على قوسيهما. أراد (ناب) أن يغطس في الماء فمنعه سميث. ودارت معركة تحت الماء غريبة، من الطبيعي ان تنتهي بموت الكلب غير المهيأ لهذا النوع من المعارك. ولكنه فجأة ظهر، قافزاً في الهـواء مدفـوعا من تحت الماء الى فوقه عاليا نحو عشرة أقدام بقوة غريبة، ثم سقط في المياه المتخبطة، وسبح حتى بلغ الرمل ناجيا بأعجوبة.

تبادل الخمسة النظرات من دون ان يفهموا ماجرى، كأنما تحت الماء

معركة لم تنته بعد، فلا بد ان يكون ذاك الأطوم يصارع حيوانا أكبر منه. ولم يطل الوقت حتى اصطبغت صفحة المياه بالدم وطافت جثة الحيوان حتى بلغت الشاطىء عند الناحية الجنوبية من البحيرة، حيث تراكض الخمسة يعاينونها. انه حيوان ضخم من نحو ١٦ قدما، في عنقه شرخ كما بسكين حاد. فماذا تراه يكون؟ في اليوم التالي (٧ ايار) قصد سميث وسبيليت مطل المرأى الواسع فيما هاربرت وبتكروف حاذيا الساقية لتغذية مخيمهما بالحطب. ووصل سميث ورفيقه الى المطل ـ عند النقطة الجنوبية من البحيرة ـ حيث ارتمت جثة الحيوان. كانت المياه قليلة العمق هناك، انما تتوغل في العمق تدريجيا، حتى تبلغ في وسط البحيره عمقا كبيرا، فسأل سبيليت:

ـ والآن، ياسميث، ألا تجد في هذه المياه أمرا مشبوها؟

ـ بلى، ياصديقي سبيليت، فأنا لايمكنني تفسير حادثة الأمس.

ولاحظ سميث تسارع التيار في ذلك المكان، فرمى فيه بعض القطع الخشبية ورآها تسبح مع التيار صوب الجهة الجنوبية. مشى محاذيا التيار، على الضفة، فبلغ النقطة الجنوبية من البحيرة، حيث لاحظ المياه تغور كأنها تهرب الى فجوة في الارض. وضع أذنه على صفحة المياه، فأمكنه تمييز صوت شلال يهدر تحت المياه. نهض وقال:

ـ هنا، بلا شك، تنحدر المياه الى ملاقاة البحر، في قناة صوانية سنعرف كيف نوظفها لصالحنا.

واقتطع المهندس غصنا طويلا غرزه في الزاوية عند ملتقى الضفتين، فتحقق من حفرة مفتوحة لايزيد عمقها أكثر من قدم واحد عن سطح المياه، هي المصب الذي كان سميث يبحث عنه، فردد:

ـ لم يعد عندي الآن شك: هذا هو المصب. وسأعرف كيف سأكشف عنه.

ـ تكشف عنه؟

ـ نعم. يجب ان أخفض مستوى المياه في البحيرة ثلاثة أقدام.
ـ وكيف تخفض مياه بحيرة؟
ـ أفتح لها منفذا اكبر من هذا.
ـ أين؟
ـ في أقرب نقطة من الضفة تقترب الى الشاطىء.
ـ ولكنها ضفة صوانية قاسية.
ـ سأفجرها، فتتسلل المياه، وينكشف المصب.

بعد وقت قصير، توجه سميث وهاربرت وسبيليت بمحاذاة الساقية صوب موضع الفحم الحجري حيث تكثر كميات كبريت الحديد (البوريطس النضيدي) التي حمل سميث نماذج منها. ومر النهار كله في نقل كمية من البوريطس الى لكهف، بلغت في المساء بضعة أطنان (والنضيد حجر متبلر يتفلق الى طبقات).

في اليوم التالي (٨أيار) بدأ المهندس تنقيباته. وتلك القطع من البوريطس النضيدي، كانت مؤلفة من الفحم ورمل الصوان وأوكسيد الالمنيوم وكبريتد الحديد، لذا كان عليه عزل كبريتور الحديد وتحويله الى حامض كبريتي في أسرع وقت، ليستخرج منه حامض الكبريتيك.

ووجد سميث خلف الكهف مكانا مسوى التربة فوضع فيه الأغصان والحطب، وفوقها قطع البوريطس النضيدي متصالبة، وغطى الكل بقشرة رقيقة من الكبريت. ثم أضرم النار في الخشب، وبلغت حرارتها النضيدات، فاشتعلت لاحتوائها على الفحم والكبريت، ونجمت عن ذلك طبقات جديدة من النضيد، شكلت كومة كبيرة غطاها سميث بالتراب والأعشاب، كما لو كان بصدد بناء مشحرة لصنع الفحم.

وفيما كانت العملية تأخذ وقتها، عمد سميث الى أعمال أخرى. وكان ناب وبنكروف قد جمعا شحم الأطوم في جرار كبير من الفخار، ولزم عليهما فصل مادة مهمة منها هي الغليسيرين (سائل بلا لون، يذوب في



الماء، ويتولد من تصبين المواد الدهنية)• وذلك بتحويل هذه المادة الى صابون، في عملية يكفي لها استعمال كربونات الصوديوم. ولم يكن ذلك صعبا لان النباتات البحرية متوفرة بكثرة على الشاطىء، فجمعها منها كميات وجففاها ثم أحرقها في حفر جعلاها حولها، وحافظا على بقايا احـتراقها عدة أيام حتى بلغت حرارتها درجة مرتفعة جدا. وكان من نتيجة هذا الترميد:

كمية كافية من مادة رمادية تعرف باسم «الملح الطبيعي».

عالـج المهندس الشحم بالملح المجموع، فحصل على صابون من جهة، ومن جهة أخرى على مادة الغليسيرين التي يحتاجها. انما كانت تلزمـه مادة اخـرى: ازوتات البوتاس، المعروفة بملح البارود، فكان للطبيعـة هذه المرة ان تمنحه اياها، ولم يكن عليه الا ان يجمعها من مكان كان قد اكتشفه (هاربرت) في شمالي الجزيرة، على سفح جبل فرنكلين.

استغرقت هذه الأعمال المختلفة نحو ثمانية ايام تسنى بعدها للخمسة بناء فرن من القرميد بطريقة تتيح لهم تصفية كبرتيت الحديد عند خروجه. ومع الثامن عشر من أيار، انتهت التجهيزات فيما انتهت أيضا العملية الكيمائية.

وهكذا ، بعدما ذوبت النار جميع قطع البوريطس، تم وضع المادة الناتجة في حوض ملىء ماء، ثم خضها وتركها ترقد، ثم تصبيتها مما نجم عنه سائل شفاف يحوي ذوب كبريت الحديد وكبريت الالمنيوم . وبعد تبخر هذا السائل ، تجمعت قطع خالصة من كبرت الحديد بكمية كافية ، بقي على سميث تحميصها في آنية مكحمة الاغلاق للحصول على حامض الكبريت. وانما، لهذه العملية، كان سميث له حاجة خصوصا الى الاواني التي من تراب قاس وقوي .

في ٢٠ أيار، كان في حوزة المكهندس مابه يولد الحامض الآزوتي. وكان ذلك سهلا عليه، مادام أن الملح الطبيعي حين يحتك بحامض الكبريت سيعطي الحامض الآزوتي بعد التصفية . وهذا مافعله كمرحلة أخيرة من عملياته الكيمائية.

وبعدما أخذ الحامض الآوزتي. مزجه مع الغليسيرين، فحصل على عدة بنتات (البنتة: كيل للسوائل يسع نصف ليتر) من سائل لزج صفراوي. وكان (سميث) قام بهذه العملية الأخيرة على الحياد لما فيها من خطر الانفجار. وحين حمل الى أصدقائه زجاجة من ذلك السائل، لم يقل لهم سوى:

- هوذا النيتروغليسيرين (زيت لالون له، شديد الانفجار).

- فسأله بنكروف:

- وهل هذا هو السائل الذي سيفجر لنا الصخور الصوانية؟

- نعم، هذا هو.

ومتى؟

- غدا، بعد حفر ثقب له.

وفي اليوم التالي (٢١ ايار) منذ الفجر، اجتمع الخمسة عند نقطة في الضفة الشرقية من بحيرة غرانت، على خمسمئة خطوة فقط من الشاطىء، حيث المسطح أدنى من مستوى المياه التي لم يكن يحدها الا

ذلك السور الصواني المنوي تفجيره لتسيل المياه كلها، فيهبط مستواها في البحيرة وينكشف المصب. ولم تبلغ الساعة الرابعة بعد الظهر، حتى كان الثقب جاهزاً.

بقيت عملية إشعال المادة المتفجرة، وسميث يعرف انها تنفجر بتأثير ارتطامها أو سحقها، فهيأ لها كومة ثقيلة من الحديد علقها فوق الثقب بحبل نباتي، وربط بها حبلا نباتيا آخر، أشعل طرفه حتى اذا احترق كله بلغت النار الحبل الاول فانقطع وسقطت كومة الحديد على مادة النيتروغليسيرين.

ملا المهندس الثقب من هذه المادة حتى شفيره، ورش منها رذاذا حوله على الصخر، تحت كومة الحديد المعلقة. وعندها، أخذ طرف الحبل النباتي المكبرت وأشعله، وهرع الى رفاقه في الكهف. ولم تمر عشرون دقيقة حتى دوى انفجار هائل هز الجزيرة من أقصاها الى أقصاها. وتناثرت في الفضاء غيوم من الحجارة كأنها ملفوظة من فوهة بركان، وارتج الكهف بما فيه ومن فيه، حتى ان هؤلاء ـ ولو هم على ميلين من الانفجار ـ وقعوا أرضا. ثم نهضوا وهرعوا الى ضفة البحيرة حيث تصوروا ان تكون المياه بدأت تتدفق. وما وصلوا حتى انطلقت من صدروهم صيحات الفرح، حين رأوا المياه تندلق بسرعة وتنحدر شلالا بعلو ٣٠٠ قدم متكسرة على أسفل رمل الشاطىء.

اذن، نجح مشروع سميث، لكنه ـ كعادته ـ بقي مزمزم الشفتين جامد النظرات، فيما هاربرت شديد الحماس، وناب يقفز من الفرح، وبنكروف يؤرجح رأسه متمتما:

ـ ان مهندسنا اليوم في أفضل حالاته.

وعاد الخمسة الى الكهف، حاملين الادوات والمعدات، يتبعهم الكلب توب في جميع تحركاتهم. وفورا توجهوا الى الزاوية السفلى من البحيرة، حيث بدت فتحة المصب المنشود، فبلغوها فورا. كانت من

نحو ٢٠ قدما عرضا، واثنين فقط علوا. أخذ ناب وبنكروف منقريهما وجعلا لها في أقل من ساعة علوا كافيا. وتفحص المهندس العمل فوجده ملائما والمنحدر كافيا لانسياب الماء. قال البحار:

ـ والآن، ياسيد سميث، ماذا ننتظر؟ هاتوب سبقنا.

ـ أعـرف. انما يجب ان نتبين طريقنا بوضوح أكثر. ناب، اذهب واقتطع لنا أغصانا صمغية وهرع ناب وهاربرت الى ضفاف البحيرة، تظللها أشجار الصنوبر وسواه، ثم عادوا بعد قليل بمجموعة أغصان جعلاها مشاعل. وماهي الا دقائق حتى انصرف الخمسة الى معالجة الاخـدود المعتم الذي كان مغطى بالمياه. ولاحظوا انه، كلما عمق، اتسعت دائرته حتى أنهم بعد دقائق أمكنهم الوقوف فيه بكامل قاماتهم. كانت جوانبه الصوانية لزجه بسبب مرور المياه فيه منذ زمن بعيد. وكانت نقاط المياه العالقة، بعد، تتقزح تحت تأثير المشاعل. تأمل المهندس في ذلك الصوان الأسود، فلم يجد فيه طبقات ولاحتى خدوشا، بل هو مرصوص تماما.

أكمـل الخمسـة نزولهم ببطء، ولم يكونوا يتحدثون بل يفكرون في امكـان ان يصادفوا أخطبوطا او أي حيوان بحري أخر قد يكون على علاقة بالبحر القريب. من هنا ضرورة الحذر رغم الثقة الموضوعة في فطنة الكلب الذي كان يتقدم الفريق.

بعد نزولهم نحو خمسين قدما، تناهت الى مسامعهم أصوات بعيدة.

ـ هاربت: هذا نباح توب.

ـ بنكروف: صحيح. وهو نباح مذعور.

ـ سبيليت: تصبح عمليتنا أكثر اثارة.

ووافق البحار على العبارة بحركة من رأسه، ثم انطلق الخمسة باتجاه الصـوت المذعور، لاركضا بل تزحلقا على الحافة اللزجة، حتى بلغوا

مكـان الكلب. فوجـودا الممـر ينتهي الى مغارة جميلة على بابها ينبح (توب) بذعر. قرب ناب وبنكروف مشعليهما فاذا بالمغارة خالية. دخلها الخمسة متفقدين مستغربين نباح الكلب وليس في المكان اثر لحيوان أو انسان.

قال سميث: ثمة حتما منفذ للمياه من هنا الى البحر.

رد بنكروف: صحيح. فلنحذر من الانزلاق في حفرة مفاجئة.

قال سميث: توب، هيا، تقدمنا.

انصاع الكلب وذهب الى طرف المغارة مضاعفا نباحه. لحقه الخمسة بالمشـاعـل فانكشفت لهم فتحـة بئـر عميقـة في وسط الصوان. قربوا المشاعل فوق الفتحة فلم يروا شيئا. تناول سميث غصنا مشتعلا ورماه في الهوة فأضاء الصمغ المشتعل في الغصن عتمة البئر، انما لم ير شيئا حتى انطفأت الشعلة في عمق البئر تدريجيا مما دل على طبقة سفلى من المياه عند مستوى البحر. وقد قدر المهندس عمق البئر بنحو ٩٠ قدما. وقال:

ـ هنا سيكون مسكننا.

وكان أمام الخمسة مغارة كبيرة واسعة يسهل تقسيمها الى عدة غرف على عددهم. انما بقيت صعوبتان: الأولى اضاءة هذا المكان المحفور في صخر صلد، والاخرى جعل بلوغه أسهل. ويمكن تجاوز الاولى بفتح ثغرة في الجهة الخلفية من صوب البحر، وعندها يمكن تجاوز الاخرى بجعل الثغرة بابا يرقى اليه بسلم خارجي. عندها أشرك سميث رفاقه بأفكاره هذه، فقال بنكروف فورا:

ـ عظيم، سيد سميث، الى العمل. عندي منقري، وسأعرف كيف أفتح ثغرة به في هذا الحائط. وراح بنكروف ينقر الصوان طوال نصف ساعـة، والشرر يتـطاير منه تحت أضواء المشاعل. ثم أخذ عنه ناب فسبيليت، الى ان ـ بعد نحو ساعتين ـ وعند احدى الضربات القوية،

وقع المنقر خارجا وسط صرخات الفرح. وجاء سميث يضع عينه على الفتحة المثقوبة ، فرأى منها حافة الشاطىء والجزيرة، ووراءهما البحر الواسع.

ومن تلك الفتحة الواسعة، دخل النور ساحرا الى أرجاء المغارة، فاذا هي في جهتها اليسرى لاتعلو أكثر من ٣٠ قدما بطول ١٠٠ ، واليمنى ، على العكس، هائلة وتعلو نحـو ٨٠ قدمـا وتتدلى منها في غير موضع نتوءات صوانية جميعها من صنع الطبيعة.

وبعد هدوء صرخات الفرح المتصاعدة من كل فم، قال سميث:

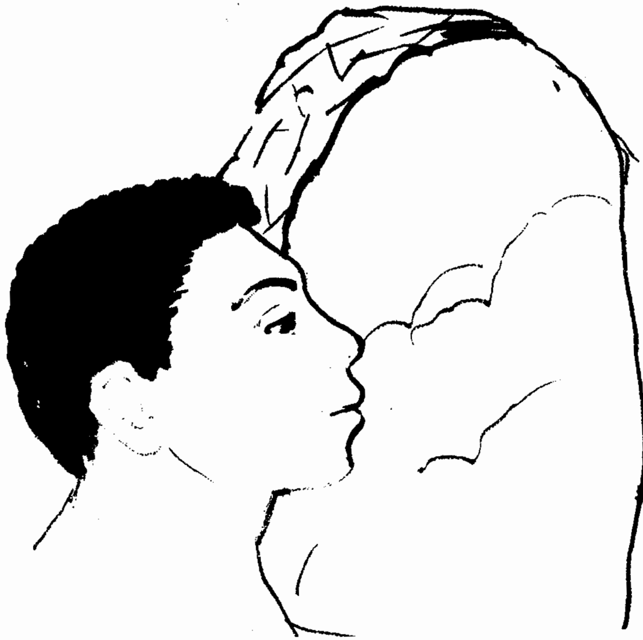
ـ أيها الاصدقاء، حين نرتب غرفنا وأماكننا في هذه الجهة اليسرى، نجعل من بقية المساحة مكاتبنا ومتحفنا.

وسأل هاربرت:

ـ وماذا نسميه؟

ـ نسميه . . «قصر الصوان».

وانطلقت من الافواه صرخات أخرى فرحا وموافقة.



- ٥ -

في اليوم التالي (٢٢ أاير) بدأت أعمال تجهيز المسكن الجديد. وتقرر ثقب الجدار الصواني لفتح خمس نوافذ، وباب ينفتح على بهو واسع. وكانت الواجهة (العالية ٨٠ قدما) صوب الشرق، تزورها أشعة الشمس مع دقائق الصباح الاولى. ويبدو ان المكان هو بين زاوية مطل الشكران، وزاوية الكتلة الصخرية المؤدية الى الكهف.

كان العمل الأول: فتح النوافذ. ولما كان هذا بطيئا بالمنقر، وسميث هو رجل الوسائل الكبيرة، ومازال معه بعض النيتروغليسرين، استعمل المفعول التفجيري. وبعد ايام، كان «قصر الصوان» مضاء بنور الشرق الذي بات يدخل الى أبعد الزوايا.

ووفق التصميم الذي وضعه سميث، يجب تقسيم الغرف الخمس مواجهة شاطىء البحر: الى اليمين مدخل من باب يوصل اليه سلم، ثم غرفة أولى بمنزله مطبخ بعرض ٣٠ قدما، فغرفة طعام بعرض ٤٠ قدما، فغرفة نوم بالعرض نفسه، ثم غرفة زوار اقترحها بنكروف محاذية

للبهــو الكبـير. وكانت الغرف تفضي الى ممر بينها، والى هري تم فيه تجميع الأدوات والمؤونة. وكان يمكن الخمسة ان يفيدوا ايضا من المغارة الصغيرة التى فوق هذه المغارة الكبيرة.

اقـترح سميث العمل السريع على صنع سلم من الحبال، يجعل مستحيلا دخـول المغـارة في حال رفعه. وتم تجميع أليف من الأسل (جنس نبـاتـات عشبية تستعمل أغصانها لصنع السلال) ولفها بنحو متـين، فكان عمودا السلم. أما الادراج، فكانت من أغصان الارز الاحمـر. كما تم صنـع حبال أخرى من الالياف النباتية، بقيت عند الباب، لرفع قطع القرميد الى مستوى باب «قصر الصوان»، فيمكن بها ترتيب التقسيم الداخلي.

انتهى العمل في تركيز السلم يوم ٢٨ أيار، وبلغ ١٠٠ درجة، مدلاة على ذلــك العلو الشـاهق. وقـد تمكن سميث من قسمتهـا اثنـين: باستفادته من درجة صخرية ناتئة على علو نحو ٤٠ قدما. وسرعان ما اعتـاد الخمسـة على سلوك هذا السلم، مستفيدين من خبرة بنكروف البحـار المعتـاد على تسلق سلالم الصواري. وصعب على (توب) هذا العمل بقوائمه الاربع. لكن بنكروف سهل له ذلك، وعند الحاجة كان يحمله على كتفيه.

في ٣٠ أيار، تم إنجاز القواطع بين الغرف. بقي تجهيز هذه، وهو عمـل طويل سيستغرق الشتاء كله. لذلك، تم تجهيز موقد كبير من قطع القرميد في الغرفة الذي عد مطبخا، كما تم وضع ستر على النوافذ الخمس.

ولـدى الانتهاء من التجهيزات الداخلية، عمد المهندس الى سد فتحة المصب القديم فلا يتاح لاحد المرور منه، فوضع قطعا كبيرة من الصخور، وأحكم سدها بالاسمنت، تاركا منفذا واحدا تدخل منه مياه الشرب العذبة الى المسكن الجديد.

انتهت جميع هذه الاعمال تماما قبل الفصل الماطر والعاصف. وكان سبيليت قد وضع، بطريقة فنية، نباتات متنوعة حول النوافذ، وأعشابا طويلة، مما جعل الطاقات مزدانه باخضرار ساحر.

وفي الخامس من حزيران، انطلق الخمسة الى الجزيرة، في طقس غير مستقر. انما كان عليهم الافادة من الجزر لعبور القناة وصنع زورق يجعل العبور ممكنا في المد أو الجزر. وصادف وجود العديد من عجول البحر، اصطاد المغامرون ستة منها بحرابهم المسنونة. وعمد ناب وبنكروف الى سلخها حاملين الى «قصر الصوان» شحمها ليستعملوه شموعا، وجلدها ليستعملوه أحذية. وطوال شهر حزيران عمد الخمسة الى تحسين الادوات والمعدات التي كانت بدائية جدا. ومع اتمامها، وصنع طاولات وكراسي، صنعوا كذلك عربة صغيرة.

في نهاية حزيران، وبعد امطار طويلة وغزيرة، تحول الطقس الى برد شديد. ويوم ٣٠ حزيران ـ الموافق ٣١ كانون الاول في نصف الكرة الشمالي ـ تكدست مكعبات الثلج على مطل الشكران وتجلدت صفحة البحيرة.

كان على الخمسة تجديد مؤونة التدفئة باستمرار، فبنوا مدفأة أخرى في غرفة الطعام، وكان العمل بها مشتركا.

مكال الطقس، فترتئذ الى الجفاف، فانطلقوا ذات يوم الى اكتشاف القسم الجنوبي الشرقي من الجزيرة، بين مطل الشكران ورأس غريف. وهو مكان منقعي تكثر فيه الطيور المائية. وجلسوا الى الغداء فقال سميث:

ـ من المستغرب ان تضم هذه الجزيرة، على صغرها، تنوعا بهذا الشكل في تربتها، ليس يوجد عادة الا في محيط بكامله. لربما كانت، ذات مدة، محيطا. على أي حال، أرضها بركانية بحتة.

ـ سأل بنكروف:

ـ يعني انها قد تنفجر بركانيا ذات يوم وتمحي؟
ـ ممكن.
ـ آمل الا نكون ، يومئذ، عليها.

أكمل الخمسة اكتشافهم بعد الغداء، حتى بلغوا طرف المنطقة المنقعية حيث كانت رفوف الطيور لاتحصى، ومن جميع الانواع، تفترش الاعشاب المائية على صفحة المياه الآسنة. فاقترب منها الصيادون ونالوها بحر ابهم لانها لم تكن معتادة ان تخاف الصيادين. وكانت الحصيلة مجموعة من البط الذي عرف هاربرت بأنه نوع من الشهرمان. وهرع (توب) الى جلب هذه الطرائد التي أعطي اسمها لتلك الناحية المنقعية من الجزيرة . وفي نحو الخامسة مساء، عاد الخمسة من مستنقع الشهرمان الى مسكنهم.

بقيت مدة الصنقيع حتى ١٥ آب. وكان البرد محتملا في طقس هادىء. أما عند هبوب الريح ، فكان الوضع قاسيا على خمسة لم يكونوا يرتدون من الثياب ما يقيهم اللفح القاسي.

انصرف هاربرت وبنكروف والصحافي الى حفر فخاخ في الارض، غطوها بالاعشاب والاغصان للتمويه، وجعلوا في قعرها مواد تجلب رائحتها بعض الحيوانات. وهكذا ، اجتذبت هذه الفخاخ ـ في الاسبوع الثاني من آب ـ عددا من الخنازير البرية الآتية من شمالي الجزيرة ، والصالحة للاكل لانها تشبه خنازير اميركيا وأوربا.

قال بنكروف: ولكن لاتبدو انها خنازير.

وقال البحار: ياصديقي ، دعني اقتنع بأنها خنازير.

رد بنكروف : لماذا؟

فاجاب البحار: لانني أحب الخنازير، خاصة لقوائمها. ولو ان لو احدها ثماني عوض الاربع ، لكنت أحبها مضاعفا.

في ١٥ آب، تغير الطقس فجأة بأنقلاب مفاجىء في الريح ، عند

الشمال الغربي. فهبطت الحرارة عدة درجات دفعة واحدة ، وكل البخار المتجمع في الفضاء تساقط ثلجا، حتى غمرت الجزيرة طبقة بيضاء وبات الهواء صاقعا بعنف. ومن أعلى «قصر الصوان» كان الخمسة يسمعون صوت الموج الغاضب على صخور الشاطىء، ويشكرون السماء على انها وفرت لهم هذا المكان المتين الحصين يقيهم هذه العواتي اكثر من الكهف السابق وكان الفضل لسميث فشكروه، لما شعروا به من حماية لاتخترقها العواصف مهما عتت.

استمرت موجة الصقيع حتى منتصف أيلول، وشعر الخمسة بطول انحباسهم، مع انهم صرفوا كل وقتهم في هندسة المسكن من داخل. وأكثر النافذين صبرا، بعد بنكروف ، كان توب الذي لم يكن لديه مايعمله سوى التنقل من غرفة الى غرفة.

لاحظ سميث انه ، كلما اقترب من تلك الفوهة الموصلة الى البحر، يروح توب ينبح حوله بشدة ويدور حول الفتحة المغلقة بلوح خشبي ، حتى انه، أحيانا ، يدس تحته قائمتيه كما ليرفعه ، وهو يحرك ذنبه غضبا وقلقا، مما خلق حيرة لدى المهندس: هذه الهوة توصل الى البحر، فهل من حيوان بحري شرس يأتي الى عمقها ويحس به توب؟؟

أخيرا ، انحسرت موجة الصقيع، وانهمرت امطار غزيرة ممزوجة بشرائح الثلج وضربات الريح. لكن هذا التقلب لم يدم، وما لبث الثلج أن ذاب، وعاد ممكنا سلوك طرقات الجزيرة وأماكنها.

ويوم ٢٤ تشرين الاول، ذهب بنكروف لتفقد الفخاخ، فوجد في أحدها ثلاثة حيوانات : أنثى بيكاري (خنزير بري اميركي) وصغيران لها. أخذها بنكروف وعاد بها الى قصر الصوان فخورا. وفي الخامسة، كان عشاء فاخر في غرفة طعام «القصر»، تولى خدمته بنكروف موزعا قطع الخنزير اللذيذة. وماهي الا لحظات حتى صرخ بنكروف صرخة ذعر، فبادره سميث:

ـ مابك؟

ـ لقد كسرت سني .

سأل سبيليت :

ـ وهل في خنازيرك حصى؟

ـ ربما . .

قال بنكروف فيما كان يسحب من بين شفتيه القطعة التي كسرت له سنه . إلا انها لم تكن حصاة، بل . . حبة رصاص .

# القسم الثاني



## المعزول

وضع بنكروف حبة الرصاص على الطاولة وسط استغراب رفاقه.
أخذها سميث وقلبها طويلا، ثم قال لبنكروف:

ـ أمتاكد أنت من أن الخنزير الذي منه هذه الحبة، عمره ثلاثة أشهر فقط؟

ـ نعم، كان في الفخ مايزال يرضع من أمه.

ـ هذا يدل على ان طلقة بندقية قد انطلقت في هذه الجزيرة منذ ثلاثة أشهر. ولكنني أن من مروا بها لم يطيلوا المكوث، وغادروها قبل وصولنا، والا لكنا التقيناهم. على أية حال لنبق متيقظين، فربما هم قراصنة.

قال البحار: سيد سميث، أليس أفضل ـ قبل التفتيش ـ صنع زورق نجوب به شاطيء الجزيرة؟ أنا أتكفل بإنجازه في خمسة أيام.

قال سميث: في خمسة أيام؟ فليكن.

وقال هاربرت: مع هذا، يجب ان نكون حذرين حتى في هذه الايام الخمسة.

رد سميث: حذرين جدا. وأرجوكم الا تبتعدوا عن قصر الصوان كثيرا، حتى لضرورات الصيد. وبدأ بنكروف بالعمل منذ الصباح التالي. فجمع عددا كبيرا من قشر الشجر وخاطها، كي يصنع وسيلة تعوم ولا تكون ثقيلة الحمل عند ضرورة رفعها. وفيما كان سميث يعمل مع بنكروف، ولم يبتعد كثيرا عن قصر الصوان، مع ان الغابة كانت تغريهم في عمقها بجميع انواع الطيور.

في ٢٨ تشرين الاول، حدث امر غريب آخر: ففيما كان هاربرت يتجول على ميلين من المسكن، وجد سلحفاة كبيرة تدب على الصخور في طريقها الى البحر. نادى (ناب) فهرع ووقف مشدوها متسائلا عن طريقة الاحتفاظ بها، فأجابه هاربرت:

ـ نقلبها على ظهرها، فلا تعود تستطيع السير.

وركز هاربرت وناب منقريهما تحت عظام صدرها فقلباها على ظهرها. كانت من ثلاثة اقدام طولا، وتزن لا أقل من ٤٠٠ ليبرة (الليبرة قرابة ٥٠٠ غرام). سأل ناب:

ـ وماذا سنفعل بها؟

فأجاب هاربرت:

ـ ندعها هنا مادامت لا تستطيع التحرك، ونذهب فنأتي بالعربة.

وزيادة في الاحتياط، جعل هاربرت حولها حجارة لتدعيمها. واذ شاء ان يترك المفاجأة لبنكروف، لم يخبره بالأمر كي يفاجئه بالسلحفاة أمامه. لكنه، عندما عاد مع ناب بالعربة، كانت السلحفاة قد اختفت. فسأل ناب رفيقه هاربرت:

ـ غريب. أتكون انقلبت وحدها؟

ـ يبدو ذلك. وهذا سيغضب بنكروف ويقلق سميث.

والتحق هاربرت بحيث يعمل بنكروف وسميث، فقص عليهما ماجرى. وزعق بنكروف: كيف تدعانها تهرب؟ انها تشكل في الاقل

خمسين وجبة طعام.

- ولكننا دعمناها بحجارة ثقيلة عندما قلبناها.

- اذن.. أمر لايمكن تفسيره.

تدخل المهندس:

- على اية مسافة من البحر تركتماها؟

- على نحو ١٥ قدما.

- في أثناء الجزر؟؟

- نعم.

- اذن، هي انقلبت حين عاد المد، فعامت، وعادت بكل أمان الى مياه البحر.

اقتنع الجميع بتفسير سميث، الا واحدا: سميث نفسه.

في ٢٩ تشرين الاول، انتهى العمل بالزورق، فحمله الخمسة الى الرمل في أثناء الجزر، حتى جاء المد فحمله تلقائيا الى المياه، حيث قفز اليه بنكروف وعالجه فوجده أهلا ليقل الخمسة. وصعد اليه الباقون، فأخذ ناب وهاربرت يجذفان، فيما جلس بنكروف في المؤخرة ليوجهه بالمجذاف الخلفي.

عبر البحار القناة اولا، وأكمل صوب الجهة الجنوبية من الجزيرة، من دون أن تعترضه امواج في أي مكان، الا تموجات بسيطة غير ذات تأثير. وبعد نصف ميل تقريبا، بدا جبل فرنكلين كاملا. ثم عاد بنكروف الى مطل الساقية وحاذاها حتى ابتعد الزورق نحو ثلاثة اميال عن الجزيرة. وقرر الخمسة الابتعاد اكثر، فأكمل الزورق مع الشاطىء، متجنبا الصخور التي بدأ المد يغطيها. كما اخذت تبدو لهم صخورا ومرتفعات متفرقة بشكل غريب.

وكاد الزورق يبلغ الصخر الاخير وبنكروف يتهيأ لتجنبه، حين وقف هاربرت مشيرا الى نقطة سوداء في البعيد، متسائلا:

قال هاربرت: ماهذه على الرمل هناك؟
قال بنكروف: هاه.. أنا أعرف ماهي.
قال ناب: وماهي؟
قال بنكروف: برا ميل..
قال سميث: بنكروف، الى الشاطىء فورا.

وبضربات مجذاف قليلة، كان الزورق يشطط في عمق جوين صخري، وركابه يقفزون الى الرمل. لم يكن بنكروف مخطئا: هاهما برميلان غارقان حتى وسطهما في الرمل، يضمهما صندوق.

قال سميث: سنجرهما حتى قصر الصوان، وهناك نفرغهما واذا اكتشفنا على هذه الجزيرة ناجين من غرق مفترض، تعيدهما اليهم، والا..

قال بنكروف: نبقيهما لنا. ولكن.. ماترى فيهما؟؟

بعد نصف ساعة، كان الزورق يرسو عند قصر الصوان، والبرميلان ينقلبان داخل الصندوق على طرف المياه، حتى اذا انحسرت هذه بفعل الجزر، بات الصندوق كليا على اليابسة. أحضر ناب معدات راح بها بنكروف، في انفعال شديد، يفتح الصندوق، من دون أن يتلف البرميلين لانهما في حالة جيدة ويمكن استعمالهما. وبعد كسر الاقفال على مهل، فتح الغطاء، انما بقي غلاف من الزنك يغلف البرميلين، ففصه وتبين في الصندوق ادوات وأسلحة ومعدات وثياب وكتب، وهذه لائحتها الكامله كما دونها سبيليت في دفتره:

١ ـ أدوات:
ـ ٦ سكاكين.
ـ ٤ فؤووس
ـ ٣ مساحيج.
ـ ٦ أزاميل.

ـ مبردان .
ـ ٣ـ مطارق .
ـ مثقبان .
ـ ١٠ أكياس من المسامير والبراغي .
ـ ٣ مناشير مختلفة القياسات .
ـ بوصلة جيب .
ـ ميزان حرارة فاهرنهايت .
ـ علبة فيها جهاز تصوير فوتوغافي .
٢ـ ثياب :

ـ دزينتا قمصان . ،
ـ ٣ دزينات جوارب .
٣) أدوات منزلية :
ـ ٢٢ لبة إبر.
٤) أسلحة :
ـ ٤ بنادق .
ـ٥٥ خنجرا .
ـ برميل صغير لرصاص الصيد .
ـ برميلا بارود صغيران .
ـ١٢ علبة ذخيرة (مادة متفجرة يولد اشتعالها تفجير الطلق بكامله) .
٥) معدات :
ـ سدسية (آلة تقيس ارتفاع الاجرام من سفينة أو ط ائرة) .
ـ منظار
ـ منظار طويل . .
ـ علبة بركار.

ـ ٦ قدور.
ـ ٣ صحون حديدية.
ـ ١٠ أغطية من الالمينيوم.
ـ مغلاتان.

٦) كتب:
ـ نسخة من التوارة.
ـ نسخة من الاطلس.
ـ قاموس الاصطلاحات البولينيزية.
ـ قاموس العلوم الطبيعية (في ستة أجزاء).

بعد هذا التعداد المفصّل، علق المراسل الصحافي:

ـ سبيليت: يبدو صاحب هذا الصندوق، محترفا. لاينقصه شيء.

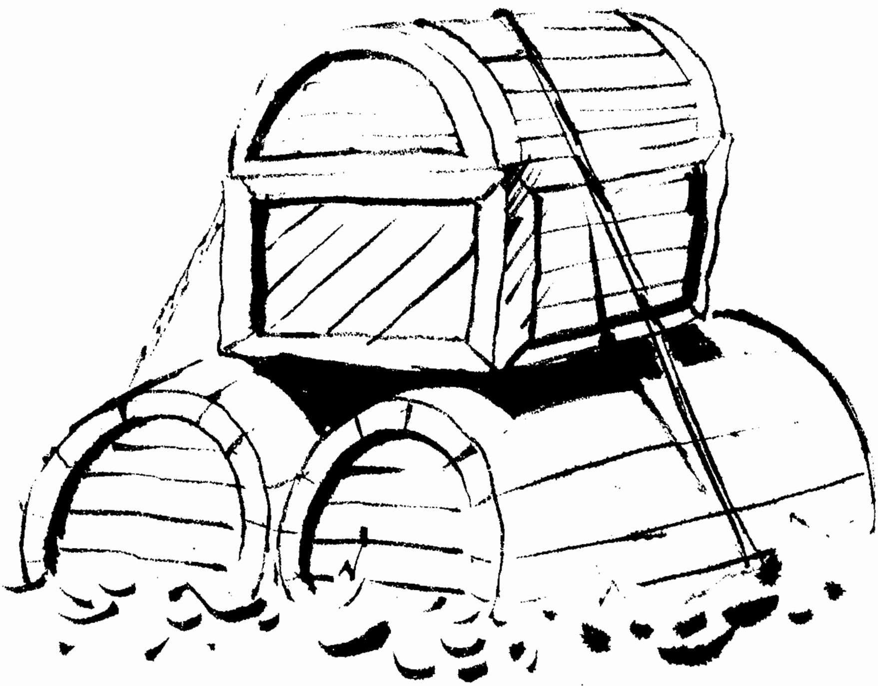
ـ سميث: (مرددا) فعلا.. لاينقصه شيء.

ـ هاربرت: ولايبدو أنه قرصان أو جاء في سفينة قراصنة..

ـ سبيليت: قد تكون سفينة اوربية او اميركية، ولدى هياج البحر وخطر الغرق، رمى ركابها هذا الصندوق لحاجتهم اليه. ولكن.. أليس على أية أداة أو كتاب أو ثوب، اشارة او عنوان يدل على مصدر هذه البضاعة؟؟

وفتشوا، بدقة، كل قطعة، فلم يجدوا مايشير الى صانعها، مع انها جميعها جديدية ولم يتم استعمالها أبدا بعد، مما يدل على أن اختيارها تم بدقة ولاغراض واضحة سلفا للاستعمال.

وأيا يكن مصدر هذه البضاعة، فهي مفيدة جدا لخمسة سكان جزيرة لنكولن الذين، حتى ذلك الوقت كانوا هم صانعي كل ادواتهم، وبذكائهم جعلوها على قياس استعمالاتهم. أفلا تكون هذه هدية العناية الالهية مكافأة لهم على جهودهم، فأرسلت اليهم نتاج الصناعة البشرية؟؟



طوال ذلك النهار، نقلوا تلك المحتويات تباعا الى قصر الصوان، حيث رتبوها في الهري. وفي اليوم التالي (٣٠ تشرين الاول) كان كل شيء جاهزا لمغامرة الاكتشاف التي فرضتها الاحداث الغريبة مؤخرا، مما جعلهم يشعرون أنهم لم يعودوا في وضع من يطلب النجدة بل من يقدمها. وكان القرار أن يرتقوا مطل الشكران، الى أبعد مايمكن سلوكه في مجرى الساقية.

في السادسة صباحا، كان الزورق في المياه، وركابه والكلب فيه، وأقلع صوب فتحة المطل. وفي العاشرة، كان على خمسة أميال منها، حيث توقفوا في ظلال أشجار وارفة ليتناولوا فطورهم. كانوا في مكان من الساقية، عرضه نحو ٧٠ قدما، وعمقه نحو ٦ أقدام. وتمتد الغابة أمامهم الى البعيد، وليس فيها أو تحت الاشجار مايدل على وجود بشري.

بعد الفطور، عاد ناب وهاربرت الى مقعديهما للتجديف، وبنكروف الى المجذاف الخلفي، وعاد الزورق يتحرك صوب الغابة التي بدت أقل كثافة من صوب «الغرب البعيد»، حيث تتباعد الاشجار وتنكشف الرؤية. وماهي الادقائق حتى صرخ هاربرت: «هه، أشجار يوكاليبتوس..». وكانت تلك، فعلا، تلك الاشجار الجميلة العالية، آخر عمالقة المنطقة الحارة، تتغلغل فيها أشعة الشمس وتطل من بينها على صفحة المياه.

قال ناب: أشجار جميلة.. ولكن، هل تصلح لاي استعمال؟

قال بنكروف: اشجار باسقة كالرجال الباسقين. لافائدة لها الا في الاسواق العامة والمعارض..

وقال هاربرت: أنت مخطىء يابنكروف. فهذه تبعد الامراض عن المناطق السكنية. وهذه مصادفة مهمة بالنسبة الينا..

قال بنكروف: آه، ماهذه الجزيرة المباركة!! لاينقصها شيء..

الا . .

قال سميث: قريبا ، بلنكروف ، قريبا جدا . . فلنكمل تجذيفنا الآن .

وأكمل الزورق توغله في الغابة ، حيث عادت كثيفة ومكتظة بالاشجار، وبقرب إيجاد سكان، بدليل ان بنكروف لمح مجموعة من القردة بين الاشجار، حتى ان ثلاثة او اربعة منها كانت تقف على مسافة من الزورق من دون ان يبدو عليها اي خوف من وجود غرباء وبدأ الزورق يتوغل في أول صخور جبل فرنكلين، الذي لم تعد ينابيعه، على مايبدو، بعيدة.

قال بنكروف: بعد أقل من ربع ساعة، قد نضطر الى التوقف.

قال سميث: نتوقف، ونهيىء مخيما نبيت الليلة فيه.

وفعلا ، بعد منعطف صغير، بدا شلال منهمل بين الاشجار فأوقف الزورق، وربط الى جذع شجرة عالية، عند الضفة اليمنى. وهناك. نصبوا خيمة لهم، وأشعلوا نارهم بين دغل من الاشجار.

في السادسة صباحا، بعد الفطور، انطلق الخمسة بعد التأكد من رسو الزورق مصعدين صوب أقرب الطرق الى الشاطىء الغربي من الجزيرة. كان ناب وبنكروف يحملان مؤونة تكفي الفريق مدة يومين في الاقل. فلم يعد الصيد واردا، بل حذر المهندس رفاقه من أية طلقة فجائية. مع انهم ، في الساعات الاولى من طريقهم ، التقوا خنازير برية ودواب أخرى جمحت الرغبة ببنكروف كي يصطادها، لكنه صرخ لها:

ـ اهناي وافرحي ، الصيد ليس متاحا. ففري واقفزي ماشئت. ربما عند العودة ، سيكون لنا معك حديث آخر.

في التاسعة والنصف صباحا، فوجئوا بمجرى ماء يقطع الطريق، ويهدر عميقا بين صخوره.

قال ناب: ها نحن توقفنا. وتعبنا ذهب هدرا!

قال هاربرت: لا. ان هو الا جدول بسيط. سنقطعه سباحة.

قال سميث: وما الفائدة؟ انه يجري الى البحر. نبقى الى ضفته اليسرى ونتبعها، فنبلغ الشاطىء حتما. هلموا.

قال بنكروف: ولكن.. خمس دقائق.. خمس فقط، نتناول بعض الطعام..

وغرز يديه في المياه منتشلا منها نحو عشرين سرطانا صرخ أمامها ناب:

ـ هذا طعام شهي..

وأسرع يساعد البحار الذي تمتم:

ـ ألم أقل لكم إن على هذه الجزيرة كل شيء، الا.. التبغ؟؟؟

ولم تمض دقائق حتى جمعوا كمية هائلة، وواصلوا السير. وكانت الساعة العاشرة والنصف حين صرخ هاربرت فجأة: «هاهو البحر..» ووقف الخمسة، عند طرف الغابة، يمتد أمامهم منبسط شاسع: هو الشاطىء الغربي من الجزيرة. وكان تناقض غريب بين هذا الشاطىء، والشاطىء الشرقي الذي ألقتهم العاصفة البحرية عليه. فليس هنا سد صواني، ولاصخور في الماء، ولاحتى ساحل رملي، بل الغابة تتواصل حتى طرف المياه، وتظلل تكسر الامواج الهادئة.

تقدم الخمسة حتى لسان جون صغير عند آخر الغابة، فاذا بمياهه تتدفق شلالا هائلا على علو أربعين قدما الى البحر. عندها، سموا تلك الساقية، التي حاذوا ضفتها، ساقية «شلال».

في نحو السابعة مساء، وصل الخمسة منهكين الى شناخ الزحاف فوق البحر، حيث تنتهي الغابة ويبدأ الساحل الطويل، وحيث يمكن أن تكون سفينة راسية، لسبب ما، لكن الليل كانت قد هبط، وأظلم المكان. هرع بنكروف وهاربرت الى إيجاد مكان يأوي الخمسة اليه،

فلم يطل بحثهما لأن الصخور كانت ملأى بالفجوات الصالحة للاستلقاء.

وماهما بالدخول الى احدى الفجوات، حتى فوجئنا بجأرة هائلة صرخ معها بنكروف:

ـ تراجع بسرعة، فليس في بنادقنا الا رصاص خفيف.

وأمسك بنكروف بهاربرت جارا إياه الى خلف صخرة كبيرة، فيما ظهر على باب المغارة نمر هائل جميل، كبير الجثة كنمور آسيا، مرقط الوبر، أسوده وابيضه، فتقدم خارجا وهو يتلفت بعينين ناريتين.

في هذه الاثناء، كان سبيليت ينزل من أحد الصخور، فظن هاربرت أن رفيقه الصحافي لم ير النمر، وهم بالوثوب اليه لتنبيهه، لكن هذا أشار اليه بيده أن لايفعل، وأكمل سيره قدما، حتى بات على عشر خطوات من النمر، وصوب اليه بندقيته، هو المعتاد على صيد النمور. وماتجمع النمر على قائمتيه الخلفيتين ليهم بالوثوب على غريمه، حتى كانت الطلقة قد استقرت بين عينيه فأردته فورا. عندها قال سبيليت:

ـ والآن، وقد غادر هذا النمر عرينه، لماذا لانحتله نحن هذه الليلة؟؟



- ٢ -

مع بزوغ الشمس في اليوم التـالي، كان الخمسـة على الشاطىء. تفـرس المهنـدس جيدا فلم يلمـح أثرا لشراع أو سفينة أو حطام على الشـــاطىء او في عرض البحـر. بقي، اذن، الشـاطىء الغـربي من الجـزيرة، وجب اكتشـافـه. فهـل يقـومـون بهـذه المغـامرة ، فورا ، مخصصين لها ذاك النهار، وكان الثاني من تشرين الثاني؟؟ لم يكن ذلك واردا في المشروع الاول، بل تم الاتفاق على المجيء الى الشاطىء الغربي ثم العودة بالزورق الى قصر الصوان، عن طريق مطل الشكران نفسه.

لكن سبيليت اقترح المواصلة حتى الشاطىء الجنوبي، لحل لغز ذاك الغـرق المفـترض. واذ وافق الجميع، انـطلقوا مواصلين. وخشية ان يفـاجأوا، بقيت بنادقهم جاهزة بحشوات رصاص قوية وأمر المهندس كلبه بأن يتقدمهم.

وماوصلوا الى الزاوية التي تنعطف صوب الجهة الشمالية الشرقية،

حتى انكشفت لهم الجهـة الجنـوبية من الشـاطىء، حيث تنتهي في البعيد، على نحو ٢٥ ميلا، برأس غريف وكان غارقا في ضباب الصباح الابيض، وتفصلهم عنه مساحة رملية منبسطة تنتهي بنقاط من البحر البعيد، هي صخور ناتئة من صدر المياه.

في الـواحـدة بعـد الظهر، كان الخمسة في عمق خليج واشنطن، فجلسوا لاستراحة الغداء. ولم يكن بدا لهم حتى الآن أي أثر لناجين من غرق مفترض، الا ذلك الصندوق الذي وجدوه على مسافة عشرين ميلا من حيث هم الآن.

في الثـالثـة، وصلوا الى جون صغـير مغلق، فجلسـوا عند جذوع مجموعة من الصنوبر البحري. كانوا على ارتفاع نحو خمسين قدما عن سطح البحـر، ونـظرهم يمتد الى البعيد البعيد، حتى أطراف خليج الوحدة. ورغم هذا الامتداد الوسيع للرؤية، لم يروا أثرا لسفينة. قال سبيليت:

ـ رأيي أن ليس من ينافسنا على امتلاك جزيرة لينكولين.

وما كاد ينهض حتى زعقت نباحات توب المذعورة، وماهي الا برهة حتى عاد من الغـابـة المجـاورة، حاملا في شدقه قطعة قماش ملطخة بالوحل. فأخذها ناب من شدقه وتفحصها، فيما بقي الكلب ينبح كأنه يدعو سيده ليتبعه الى الغابة. فقال بنكروف:

ـ ثمة ماقد يفسر حبة الرصاص في فمي.

ولحق الجميع بالكلب، بين صنوبرات الغابة، وبعد عشر دقائق، توقف الكلب عند فرجة تسورها أشجار. فسأل سميث:

ـ مالامر ياتوب؟

فازداد نباح الكلب عند جذع صنوبرة باسقة، فصرخ بنكروف:

ـ آه. عظيم. اننا نترقب فضله ما، في البحر او اليابسة. وهانحن وجدناها. ودل البحار على سمل ابيض في اعلى الصنوبرة، وأضاف:

ـ هذا كل ماتبقى من منطادنا الذي يبدو أنه سقط على أعلى هذه الشجرة. عظيم. . عظيم جدا. . هذا في الاقل قماش جيد. يصلح ثيابا لنا سنين طويلة. مارايك، سيد سبيليت، بجزيرة تنبت فيها القمصان في أعلى الصنوبر؟؟

وبقي العمل على نزع القماش عن الشجرة لحفظه في مكان أمين، فتسلق ناب وهاربرت والبحار لهذه المهمة الدقيقة من دون إتلاف المنطاد المنفس. وبعد ساعتين، نزلوا، ومعهم لا القماش فقط، بل مجموعة كبيرة من حبال الشبكة. واكد ناب:

ـ يجب وضع كل هذه في مكان آمن.

واقترحوا جره الى الشاطىء ففعلوا، حيث وجدوا فجوة كبيرة لايبلغها البحر ولا الريح ولا المطر. و قبل انطلاقهم، اتفقوا على تسمية المكان: «مرفأ المنطاد».

وكان الليل قد هبط حيث وصل الخمسة الى حيث كانوا وجدوا الصندوق. وحتى هناك، لم يجدوا أثرا لناجين من غرق، فاقتنعوا، أكثر، بمقولة سميث السابقة. وراح بنكروف يتهيأ لتجهيز عوامة يعبرون عليها، فانهال بفأسه، ومعه ناب، كي يجعل من جذعي شجرتين تلك العوامة وماهي الا دقائق حتى عاد هاربرت من حيث كان يحاذي ضفة الساقية، وهو يدل صوب مطل الشكران قائلا:

ـ ماالذي يجري هناك؟

تقدم الجميع، فوجدوا زورقا، ووسط دهشتهم صرخ بنكروف:

ـ ولكن. . هذا ليس الا زورقنا، أفلت من مرساه وجرى مع التيار. عظيم. جاء في وقته. وفيما تمتم سميث مستغربا: «زورقنا؟؟»، تبين أن بنكروف كان على حق، ومد ناب قصبة طويلة، فجراه الى الشاطىء.

قال سبيليت: هذه فعلا مصادفة. .

وأضاف سميث . . غريبة حقا .

والغـريب كان وصول الزورق في حين كان الخمسة يتهيأون لعبور الساقية على عوامة، فبعد ربع ساعة، كان الزورق قد وصل الى البحر.

إذن : هل كل هذا، مجرد مصادفة عفوية هكذا؟؟؟

بعد التجذيف ، بلغ الخمسة فتحة المطل، ورفع الزورق الى الرمل، فيما توجه ركابه الى قصر الصوان. ولكن، فجأة ، نبح توب بقوة، فيما صرخ ناب مذعورا :

ـ السلم . . السلم اختفى . .

قال بنكروف : اذا كانت مزحة، فهي ثقيلة. هل يعقل الوصول الى المسكن ولاسبيل الى دخوله؟

قال سميث : يارفـاقي، فلننتـظر انقضـاء الليل. ولكن، حتى الصباح، لا نبقين هنا. هلموا الى الكهف القديم.

وما إن بدأت خيوط الضوء الاولى في صباح اليوم التالي، حتى عاد الخمسة مسلحين الى الشاطىء، قاصدين قصر الصوان الذي انهمرت عليه أشعـة الصبـاح من المشرق. وصرخـوا استغربا اذ وجدوا الباب مفتوحا وكانوا أغلقوه عند مغادرتهم، والسلم مسحوبا حتى عتبة الباب العليا. اذن : لاشك أن أحدا تسلل الى قصر الصوان. فصرخ بنكروف مذعورا على غضب :

ـ هاي، أنتم فوق، أيها القراصنة اللصوص. . تنامون كأنكم في بيتكم؟؟

وماهي الا ثوان حتى أطل على النوافذ أربعة قردة تحيي، بسخرية، أصحاب المسكن الاصليين، فأكمل بنكروف :

ـ مزحة؟ كنت أعرف أنها مزحة. . ولكن هذا المزاح سيكلف غاليا جدا.

وصوب بندقيته مطلقا النار، فاصاب قردا وقع جثة على الرمل فيما

اختفى بقية القردة.

تقدم ناب متمتما: «حيوان جميل . . » فأجابه بنكروف:

ـ جميل أو غير جميل . . المهم الآن كيف ندخل مسكننا؟؟ هذه قردة ذكية . . ولست ادري أي تلف قد تكون أحدثت لنا اعلاه.

فتدخل سميث:

ـ صبراً يارفاق . . لايمكن هذه لحيوانات أن يعيقنا عن عملنا . .

ومرت ساعتان، لم تظهر فيهما القردة مطلقا.

قال سبيليت: وبعد؟ قد تبقى فوق طويلا. مالذي يرغمها على المغادرة؟

ـ قال بنكروف: مع ذلك يجب العمل على اخراجها. ولكن، كيف البلوغ الى فوق؟

قال سميث: عندي فكرة.

تسأل بنكروف: هيا. ماهي؟

جاب سميث: نعود الى دخول الصخر من المدخل الاول الذي سددناه من البحيرة.

قال بنكروف: آ . . عظيم. لم أفكر بهذا . هلموا.

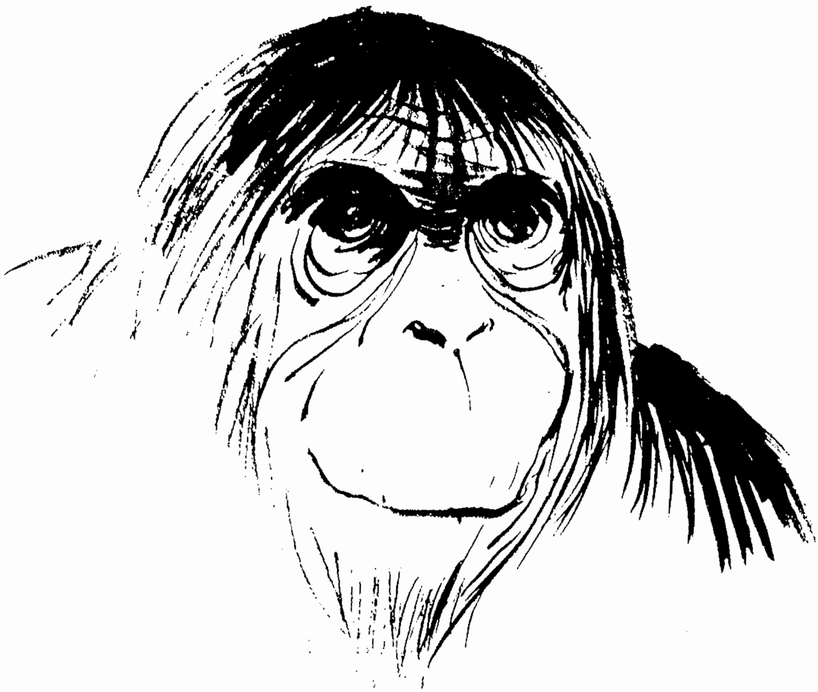
ولم يسيروا خمسين خطوة، حتى سمعوا نباح الكلب مذعورا، فتوقفوا، وعادوا ليفاجأوا بالقردة، لسبب مجهول أخافها، تحاول الفرار، قافزة من نافذة الى أخرى متلاحقة مذعورة، فصوب الخمس بنادقهم وأطلقوا النار، فأصابوا قسما منها وقع في الداخل والقسم الآخر سقط على الرمل.

قال بنكروف: عظيم. قضينا عليها جميعها.

قال سبيليت: ولكن هذا لايحل لنا مشكلة الدخول الى مسكننا.

قال بنكروف نكمل الى لمصب الاول. وندخل منه.

قال سميث: انها الطريقة الوحيدة، إذا . .



ولم يكمل جملته ، حتى فوجئوا بالسلم يتدلى من الباب الى الرمل . .

قال بنكروف : آ، لا . هذا أمر غريب .

أكمل سميث : غريب جدا . .

واندفع سميث الى السلم يتبعه رفاقه، فتسلقوا السلم بسرعة، وبلغوا الباب في ثوان، ودخلوا الى جميع الغرف، فإذا هي . . خالية ! !

وتمتم بنكروف :

ـولكن . . السلم . . من دلاه لنا؟؟

ماكاد يكمل تساؤله، حتى قفز قرد كبير الى القاعة مذعورا، يتبعه ناب . فرفع بنكروف فأسه لينهال بها عليه، لكن سميث ردعه، رحمة به لانه أنقذهم بمده الحبل . ثم هجموا على القرد الزكي ، بعد مقاومته ، أوثقوه جيدا . فاذا هو كبير الجثة، من نحو ستة أقدام، كثيف الوبر، عيناه تلتمعان على ذكاء شديد، وأسنانه البيض تلتمع تحت شاربيه الكثيفيتين، وله لحية مدببة جعداء .

قال بنكروف: فتى وسيم. آه لو كنا نعرف أن نخاطبه في لغته.
قال ناب: والآن، سيدي هل سنأخذه خادما؟
قال سميث: نعم ياناب، ولكن لاتكن حسودا منه.
قال هاربرت: وسيكون خادما ممتازا. يبدو فتيا، وتدجينيه ليس صعبا.

واقترح بنكروف تسميته «جوب». تيمنا بقرد كان له سابقا وكان له هذ الاسم.

في الساعات الاخيرة من ذلك النهار، نقلوا جثث القردة الباقيةالى الغابة ودفنوها، وعادوا يعيدون ترتيب الغرف التي بعثرها القردة. فأعاد (ناب) إشعال الافران، وهيأ طعاما تحلق حوله الجميع بنهم وفرح. وكذلك نال (جوب) نصيبه، بعدما اقترح بنكروف اطلاق يديه لاقدميه.

في اليوم التالي (٣ تشرين الثاني)، بسط سميث لرفاقه مشروعا كان يشغله: عزل منبسط «المرأى الواسع» عن كل ماحوله، حفظا له من بلوغ الدواب اليه والقرود. وافق الجميع وباشروا بالعمل. فالمنبسط تحيطه المياه من ثلاث جهات: في الشمال الغربي ضفة بحيرة غرانت، في الشمال الضفة الشرقية حتى البحر، وفي الشمال حتى الجنوب ثمة البحر. فلا تبقى الا الجهة الغربية مفتوحة لكل قادم. فكان يتوجب خرق حفرة واسعة وعميقة، تملأ بمياه البحيرة. وعقب المهندس:

هكذا، بات المنبسط جزيرة حقيقة، لايمكن بلوغها الا عبر جسر نبنيه فوق المطل، ونجعله متحركا نرفعه ونلقيه متى شئنا، فنحمي مسكننا من كل غزوة مفاجئة.

وانتهى العمل بالجسر يوم ٢٠ تشرين الثاني، فجاء سهل التحريك والرفع والوضع. وتم القرار على مواصلة الاعمال من دون انقطاع، ماداموا، كما علق بنكروف، باتوا في مأمن من كل خطر مداهم.

في ٢١ تشرين الثاني، راح سميث يحفر الحد الذي سيفصل المنبسط

جنوبا، في قدمين أو ثلاثة من الارض، تنتهي في عمقها بطبقة صوانية. لذا ، وجبت العود،ة الى التفجير من جديد، وصنع النيتروغليسيرين من جديد. وهكذا كان: في خمسة عشر يوما، . تم ثقب حفرة من ١٢ قدما عرض، و٦ أقدام عمقا، في قلب الصوان. ومع منتصف كانون الاول تم انجاز كل هذه الاعمال، وبات المكان، فعلا ، محاطا بالماء من كل جانب، وفي مأمن حقيقي من أي مفاجأة مؤذية.

ومن الطبيعي أن (جوب)، بعد عزل المنبسط، بات حر التحرك. لكنه كان ملازما أسياده، ولايبدي أية رغبة في الفرار. كان داجنا هادئا قويا خدوما وتم انشاء مكان للدواجن عند الضفة الجنوبية الشرقية من البحيرة ، في مساحة نحو ٢٠٠ متر مربع، وجعلوا فيه جحورا مختلفة لحيوانات مرتقبة قد تسكن فيه.

وكان أول سكان هذا الفناء: زوج أحجال اميركية، مالبثا ان افرخا. ثم انضمت اليهما ست بطات عن ضفاف البحيرة. وبعد أيام ، جاء هاربرت بزوج دجاجات، مدورتي الذنب، مالبثنا ان تأقلمتا مع البقية.

يوم ٢٣ كانون الاول، سمع الفريق (ناب) يصرخ و (توب) ينبح، فهرعوا خشية أن يكون امامهما مكروه، فرأوا كما حصانين، أو حمارين، ذكرا وأنثى، جميلين مخططين ، في الوان ساحرة.

عرفهما هاربرت، نوعا وسطا بين الحصان البري والحمار الوحشي. وتسلل بنكروف خلفهما بخفة، فدهمهما، وتم القبض عليهما. وبعد أيام، عادا فأفلتاهما في المكان المسور، وقد نبت فيه العشب وبات يمكن ان يكون لهما طعاما. ومع أواخر كانون الاول، بات ممكنا الاقتراب منهما. وبات بنكروف يطعمهما من كف يده. وكانا داجنين، الا عند ايثاقهما ، كانا ينقلبان غضوبين، كسائر هذا النوع الموجود خاصة في افريقيا الجنوبية.

تم في الاسبوع الاول من كانون الثاني انجاز الملابس اللازمة للفريق من قماش المنطاد، مستفيدين، على نصيحة سميث، من الخيوط التي

فكها سبيليت وهاربرت من ثنايا قماش المنطاد، بعدما أشاح بنكروف عن هذا العمل، وانتظر حتى سحب الخيوط لينصرف الى الخياطة، التي يتقنها بصفته بحارا عتيقا. وفي هذه الفترة ذاتها، أيضا، صنعو ا أحذية لهم من جلد عجول البحر، عوض الاحذية التي كانوا مازالوا ينتعلونها من أميركا.

مع بداية ١٨٦٦، اشتد الحر من دون أن تخف حمية الصيد. وكانت الطرائد تترى في الهري، من بندقيتي هاربرت وسبيلت اللذين بلغا من المهارة ما جعلهما لا يخطئان طلقة واحدة. وفي اواخر كانون الثاني، بدأ الخمسة أعمالا كبيرة في وسط الجزيرة، لانشاء زريبة كبيرة تحوي المجترات التي بدأ وجودها يزعج السكن في قصر الصوان وكان التجول اليومي يتم على الحمارين الوحشيين في مابات نزهة جميلة. وتم تجذيع الشجر اللازم لاقامة حبكة من الحظيرة حول الزريبة. وأنشىء باب للمكان ذو مصراعين. أما بناء هذه الزريبة، فاستغرق نحو ثلاثة اسابيع، لان سميث لم يكتف بهما فقط، بل جعل للحيوانات رفوفا ومخابىء يمكنها أن تلتجىء فيها واليها.

بعد الزريبة، وجب صنع حوش للطرائد عند سفح جبل فرنكلين، وسط المرعى الواسع. وهو ماتم في ٧ شباط وكان يوما صيفيا جميلا، انما طويلا للصيادين الذين أطلقوا نيرانا كثيرة لكنها لم ترم الا قسما من الطرائد، فيما زحموا قسما أخر من العنز التي هرعت ووجدت باب الزريبة مفتوحا فدخلته، وانحبست فيها.

هكذا كان الخمسة، في العناية الالهية التي تساعدهم، يفيدون من ذكائهم وحسن تدبيرهم.

في الاسبوع الاول من آذار، تغير الطقس. ففي الثاني منه، هدرت العواصف والتمعت البروق وضربت الصواعق أشجارا عديدة من الجزيرة، بينها صنوبرة باسقة جدا عند ضفة البحيرة، على طرف الغابة.

وكان (جوب) قد دخل في الخدمة الفعلية: ينفض الثياب، يقلب السفود، يكنس الغرف، يخدم الى المائدة، يرتب الحطب في مكانه، ولاينام الا بعد ان يطوي غطاء السرير لكل واحد منهم.

وكان الجميع سعداء.

وخاصة هاربرت، كان قد نما اصبعين منذ عام، واخشوشن صوته ووجهه، مبشرا برجل قوي البنية والارادة. وقد أفاد كثيرا من جميع الاشغال اليدوية، وقرأ الكتب التي كانت في الصندوق، ووجد في المهندس علما، وفي الصحافي لغة، أستاذين يكملان ثقافته. وكان المهندس يهتم باطلاع الفتى على معارفه ومداركه جميعها، وبتثقيفه ميدانيا لاتنظيرا، والفتى يغنم كثيرا وسريعا. وغير مرة فكر سميث: «اذا مت، يخلفني هذا الفتى».

هدأت العاصفة يوم ٩ آذار، انما بقيت السماء ملبدة بالغيوم طوال ذلك الشهر. وكانت أنثى الحمار قد ولدت بكرها، وفي الزريبة تكاثرت الجداء والاغنام الصغيرة، وسط فرحة الجميع. وفي تلك الاثناء، حاول سميث صنع الزجاج، مستعملا فرن الفخاريات القديم لهذه الغاية. وبعد محاولات فاشلة عديدة، وفق في جعل الزجاجيات متوفرة. وذلك تحت نظر هاربرت وسبيليت اللذين لم يتركاه وهو يعمل، مستعملا من الشاطىء الرمل، ومن الكلس الطبشور، ومن النباتات البحرية كربونات الصوديم، ومن البوريطس الحامض الكبريتي، ومن التراب الفحم الحجري كي يشعل الفرن الى الحرارة المطلوبة. وقد تمكن، بعد صعوبة جمة، من صنع عصا الزجاج، وهي القضيب الحديدي الطويل من نحو ستة اقدام لالتقاط المادة الذائبة في طرفه.

يوم ٢٨ آذار، تم لشعال الفرن، وادخال المواد الاولية المذكورة أعلاه في قلبه، حتى اذا ذابت واختلطت وباتت معجونا، جمعها سميث بطرف وأخذ يقلبها على صفيحة معدنية هيأها سلفا لتعطيه

الشكل الذي يريده، ثم طلب الى هاربرت أن ينفخ في القضيب من الطرف الآخر، تماما كما ليجعل فقاعات الصابون. فنفخ هاربرت وكبر خداه لشدة مانفخ، فيما هو يقلب العصا، حتى تراخت المادة المعجونية فاضاف اليها سميث مادة أخرى، فكبرت الفقاعة حتى بات قطرها مترا كاملا، ثم أخذ العصا من هاربرت ودلاها كما رقاص الساعة، فأخذت شكلا اسطوانيا مخروطيا.

وعن عملية النفخ، نتجت أسطوانة زجاجية تم تمديدها على الرمل وتسطيحها حامية على لفيفة خشبية. وأعيدت العملية تكرارا، فزدادت الحصيلة من الزجاجيات، وازدانت نوافذ قصر الصوان بزجاج شفاف جميل.

هكذا، بات الخمسة ينعمون بكل مايشتهون، الا كونهم مبتعدين عن ارضهم الام. ولكن، هل باتوا فعلا في مأمن من المفاجآت؟ على اي حال، كانت الجزيرة ـ وهم عليها منذ نيف وعام ـ موضوع حوارهم الدائم. الى ان كل يوم، بدرت ملاحظة جرت وراءها نتائج قاسية.

كان ذلك يوم الفصح، الاحد أول نيسان. الطقس صاف كأي يوم تشريني في نصف الكرة الشمالي. وكان الخمسة مجتمعين على الشرفة بعد العشاء، يتأملون هبوط الليل، ويتحدثون عن الجزيرة وانعزالها في هذا الاطلسي الواسع.

قال سبيليت: ياسيد سميث، منذ حصلت على السدسية من الصندوق، هل تم لك أن تعرف موقع هذه الجزيرة؟

قال سميث: كلا.

قال سبيليت: انما يمكنك ان تعرف.

قال بنكروف: ولم؟ مكانها ممتاز حيث هي.

قال سبيليت: صحيح. ولكن.. اذا أمكن تحديد موقعها..

قال سميث: غدا سنعرف.

وفي اليوم التـالي، ركز المهندس سدسيته وراح ينقب، فتوصل الى النتائج التالي:

ـ ٣٠، ١٥٠ درجة على خط الطول غربا.

ـ ٥٧، ٣٤ درجة على خط العرض جنوبا.

قال سبيليت:

ـ وبما أن في حوزتنا، مع السدسية، كتاب الاطلس، فلنر، ياعزيزي سبيليت، أين تقع هذه الجزيرة في الاطلسي.

وذهب هاربرت فعاد بالاطلس وفتحه على خارطة الاطلسي المفصلة، وأخـذ المهندس، ببركاره، يحاول تبين الموقع. وماهي الادقائق حتى تمجدت يده:

قال سميث: ولكن.. ثمة جزيرة في هذه الناحية من الاطلسي..

قال سبيليت: انها جزيرتنا ولاشك.

قال سميث: لا. جزيرة أخـرى عنـد خط الـطول ١٥٣، وخط العرض ١١، ٣٧. أي على درجتين أكثر صوب الغرب، ودرجتين أكثر صوب الجنوب من جزيرتنا.

قال هاربت: وماهي هذه الجزيرة

قال سميث: جزيرة تابور. وحيدة ضائعة في الاطلسي.

قال بنكـروف: نعم. ولم لا؟ نصنـع زورقـا ذا جسر، وأنا اتكفل بقيادته. كم نحن عن هذه الجزيرة؟

قال سميث: حوالى ١٥٠ ميلا الى الشمال الشرقي.

قال بنكروف: وما ١٥٠ ميلا؟ نقطعها بثمان وأربعين ساعة، في هواء عادي.

وتم الاتفاق على بناء زورق كبير يمكنه أن يبحر في تشرين الاول. مع عودة الفصل الصافي.



- ٣ -

حين يولد مشروع في بال بنكروف ، لايستكين حتى ينفذه . وقد كان يتحرق لزيارة جزيرة تابور، ففكر ان يبني سفينة كبيرة متينة عوض الزورق المجسر. وقد وضع لها المهندس، بمساعدة البحار، تصميما يجعلها بطول ٣٥ قدم وداعمه من تسعة اقدام، وفي الهيكل كوتان تنفتحان على غرفتين يفصل بينهما حاجز، على أن يتم صنع الهيكل بشكل بيضوي .

بعد الاتفاق على التصميم، بدأ بنكروف وسميث بالتنفيذ، فيما هاربرت وسبيليت منصرفان الى رحلات الصيد التي ، خلال إحداها، اكتشفا أمرا مهما يوم ٣٠ نيسان. فقد توغلا الى الجنوب الغربي من منطقة «الغرب البعيد»، وكان سبيليت يتقدم الفتى بنحو خمسين خطوة ، فوصل الى فرجة فوجىء عندها برائحة زهور غريبة، متعرشة بشكل عنتودي ، قطف منها واحدا وحمله الى هاربرت:

قال سبيليت: أنظر. ماهذا؟

ـ قال هاربرت: هه!!أين وجدته؟

قال سبيليت: هنا في الفرجة. ثمة منه الكثير.

قال هاربرت: هذا أمر مهم جدا لرفيقنا بنكروف.

قثال سبيليت: لماذ؟ هل هذا تبغ؟

قال هاربرت: تماما.

قال سبيليت: هاه، عظيم. سيسر بنكروف بهذا كثيرا.

قال هاربرت: انما عندي فكرة: لاتقل عنه لبنكروف. نأخذ وقتنا للف التيجان هذه الى أوراق، وذات يوم، نقدم الى بنكروف غليونا جاهزا.

قال سبيليت: ممتاز. ويومها لن يعود يشعر بأن شيئا ينقصه في هذا العالم.

وجمع الاثنان كمية كبيرة من تلك التيجان المتعنقدة، وعادوا الى قصر الصوان، هامسين بالامر سرا الى ناب وسميث، وتاركين الاوراق تجف، طوال مدة استغرقت شهرين، لم يتنبه في غضونها بنكروف الى الامر، لانه لم يكن يأوي الى المسكن الا مرهقا لينام فقد كان يعمل بنحو مكثف وجدي، غير دار بأن رفاقه يهيئون له مكافأة سارة على عمله.

وفي ٣١ أيار، لدى انتهاء العشاء، فيما كان بنكروف يهم بالنهوض، شعر بيد على كتفه:

قال سبيليت: قهوة، سيد بنكروف؟

قال بنكروف: لا، شكرا، على أن أعود الى العمل.

قال سبيليت: اذن.. تفضل غليونا؟؟

والتفت بنكروف مدهوشا الى سبيليت فرآه يحمل غليونا محشوا، وهاربرت جمرة متقدة، أخذه شاحب الوجه من مفاجأة، ومجه وهو يضع عليه الجمر، وينطلق منه دخان زرقاوي معطر، فيما يردد:

ـ تبغ . . تبغ حقيقي . . ايتها العناية الالهية . . الآن لم يعد ينقص جزيرتنا شيء . وراح يدخن بنهم ، ثم تساءل :

ـ ومن الذي اكتشف هذه الثروة؟ أهذا أنت ياهربرت؟

ـ كلا . بل سبيليت .

ـ آ، صحيح؟

وضم سبيليت الى صدره بشدة فأردف هذا :

ـ نعم أنا . انما الفضل لهابرت في التعرف الى النبتة ، ولسميث في تحضيرها، ولناب في الحفاظ على السر .

ـ شكرا ياصدقائي . . شكرا جزيلا . .

ومع حزيران ـ وهو كانون الاول في المناطق الشمالية ابتدأ الشتاء، فوجب على الخمسة استحضار ثياب شتوية . اقترح سميث استعمال خيوط الصوف وضغطها لصنع اللبد، وهو أمر سهل لان وبر صوفها قصير . وافقوا، وأشرف سميث على العملية، فنجحت ، وحصلوا على أغطية سميكة جعلتم يستقبلون ، من دون خشية، شتاء ١٨٦٦ ـ ١٨٦٧ . ونحو ٢٠ حزيران، اشتد البرد كثيرا، فأعاق بنكروف عن مواصلة بناء السفينة، مكرها، إذ تساقطت الثلوج الاولى مع آخر حزيران . وكانت الزريبة ممونة كافيا، فلم ينقطعوا من الطعام . واستأنفوا العمل داخل المسكن، فرتقوا الثياب، وقاموا بتحضيرات متعددة، وأعدوا اشرعة للسفينة من قماش المنطاد الهائل .

وكان الخمسة ـ في غرفة مضاءة جيدا بالشموع، مدفأة جيدا بالفحم، وبعد عشاء لذيذ مغذ والغلايين تعبق في الغرفة برائحتها الزكية يسعدون بالانصات الى العاصفة تزأر في الخارج، فيما هم يتحدثون عن بلدانهم وأصدقاء لهم تركوهم هناك، وعن سعة الجمهورية الاميركية المتنامية التأثير، وكان سميث يسلي رفاقه اذ يروي لهم حكاياته وأراته وتوقعاته .

نهاية أيلول، انتهى فصل الشتاء واستعيد العمل بهمة في بناء السفينـة. ويوم ١٠ تشرين الاول، تم دفعها الى البحر، أمام دهشة بنكروف الفائضة وحماسته ليقودها ربانا كما أيام زمان، وخاصة بعدما أجمع رفاقه على منحه لقب «قبطان»، وعلى تسمية السفينة «المغامرة».

في العـاشرة والنصف، كان الخمسـة على متنها، في رحلة تجريبة قريبة، ومعهم جوب وتوب. رفع ناب المرساة، فتحركت السفينة بقيادة بنكـروف ، فيما هاربـرت جلس في المقدمة ليكون دليل بنكروف بين الصخور. وعلى حين غرة صرخ هاربرت بعد انطلاقهم بدقائق:

ـ انتبه ، بلنكروف . انتبه. قف فورا.

ـ ماذا صخرة؟؟

ـ لا، مهلا، لاأرى جيدا. تمهل.

وكان هاربرت منبطحا على مقدمة السفينة ، فمد يده الى المياه ورفع منها زجاجة، تناولها منه سميث بسرعة ونزع سداداتها وافرغ منها ورقة مبللة قرأ فيها مايلي: «غريق . . جزيرة تابور. . ١٥٣ طولا الى الغرب ـ ١١، ٣٧ عرضا الى جنوب». فصرخ بنكروف:

ـ انه غريق على ١٠٠ ميل منا، في جزيرة تابور. سيد سميث، هل تعارض في سفرنا الى هناك؟

ـ كلا . سنذهب في اقرب وقت.

ـ غدا؟؟

ـ غدا.

وبعد صمت قصير أكمل المهندس:

ـ نستنتـج مما وجـدنـا، ياأصدقائي ، مايلي: هذا الغريق خبير في البحر، مادام هو يحدد الموقع، وهو انكليزي أو اميركي مادامت الورقة مكتوبة بالانكليزية.

فقال سبيليت :



ـ هذا منطقي . وهو يفسر وجود الصندوق على شاطىء جزيرتنا .

في أثناء هذا الحوار، كان بنكروف يقود السفينة في طريق العودة الى رأس غريف، وكل واحد من الفريق يفكر بهذا الغريق: هل يدركونه حيا؟ ونحو الساعة الرابعة، رست السفينة تحت قصر الصوان .

عند العشية، تمت التحضيرات الكاملة للرحلة، على أن يقوم بها بنكروف وهاربرت فقط، لخبرتهما البحرية . فاعترض سبيليت لاصراره على الذهاب ولو سباحة، فتم القرار على ذهابه ايضا . وفي الخامسة من صباح اليوم التالي، كان الوداع المتبادل موثرا ، وتوجه بنكروف بالسفينة الى رأس غريف، ثم جنوبا غربال صوب الجزيرة . وكانت «المغامرة» تجري في سرعة، وفق تعليمات البوصلة، وأحيانا يأخذ هاربرت في القيادة بيد جامدة وثقى .

مع هبوط الليل، ارتسم الهلال في الفلك، ثم انطفأ بعد ساعات ليخلي الفلك لضوء النهار، صافيا صحوا ، وكان الصحافي نام بعض الليل، فيمنا تناوب بنكروف وهاربرت على القيادة كل ساعتين. ومر نهار ١٢ تشرين الاول في ظروف مناخية مؤاتية، و «المغامرة» تسير قدما صوب جزيرة تابور. أما ليل ١٢/١٣، فلم ينم أحد من الثلاثة، لقلقهم على وجهة السير: هل اقتربوا من الجزيرة؟ وهل الغريق مازال فيها فينقذونه؟ ومن تراه يكون؟ وهل وجوده بينهم سيزعج صفاءهم ووحدتهم؟ هذه الاسئلة وسواها، كانت تقلقهم. ومع بزوغ النهار الجديد، كانت عيونهم زائغة على وسع الافق غربا. ولم تكد الساعة تبلغ السادسة حتى صرخ بنكروف: «اليابسة. .» ومع الظهر ، كانت «المغامرة» ترسو عند رمل الشاطىء ، تنغرز مرساتها فيه وتنغلق فوقه اشرعتها ، وركابها الثلاثة يترجلون بعدما ركزوا السفينة جيدا كي لايحملها الجزر. ثم توغلوا في اليابسة، مسلحين، صوب تلة تعلو نحو ٢٥٠ قدما وتبعد عنهم نحو نصف ميل، من حيث يمكنهم ـ كما اقترح سبيليت ـ أن يكشفوا كامل مساحة الجزيرة ونواحيها ، فتسهل عملية بحثهم.

وإذا باتوا على أعلى التلة ، أخذوا ينظرون في كل الاتجاهات ، فبدا لهم محيط الجزيرة لا أثر لساكن او قدم على الرمل في كل هذا المحيط الدائري الذي اجتازه كله باربع ساعات، مما حملهم على التفكير بأن الجزيرة غير مأهولة.

وجلسوا يتعشون عند «المغامرة» استعداد لاكمال مغامرتهم ليلا. وفي الخامسة مساء، غلو في الغاب، تتركض من امامهم عنزات وخنازير من فصائل اوربية تشير بوضوح الى وجود بشري سابق على الجزيرة، كما تشير اليه انواع من النباتنات والبقول مزروعة في الارض ، تعرف هاربرت بينها الى البطاطا والجزر والملفوف واللفت، يكفي جمع بذورها لاثراء

ارض جزيرة لنكولن . وأكمل الثلاثة رحلتهم حتى حاذوا الساقية المتجهة الى البحر.

قال بنكروف: الليل يشتد، ويجمل بنا أن نتوقف الان هنا.

قال سبيليت: فلنعد الى الشاطىء وغدا نبدأ من جديد.

وكادوا يعملون بهذه النصيحة، حين صرخ هاربرت مشيرا الى نقطة بين الاشجار: «هوذا بيت» وتوجه الثلاثة اليه، فإذا هو مبني من الواح تغلفه طبقة من القماش المْقطرَن. دفع بنكروف الباب نصف المشقوق، ودخل سريعا، فاذا المنزل خال. بقي الثلاثة صامتين وسط الظلمة الشديدة، ونادي بتكروف بصوت مرتفع، فلم يلق جوابا . اشعل عسلوجا اضاء لحظات على مدفاة كبيرة ذات رماد بارد، فيها كومة حطب جاف، رمى فيها العسلوج فاشتعلت بنور هائل. وعندها ، تلفت الثلاثة في المكان فوجدوا سريرا غير مرتب، يدل شرشفه المصفر الرطب على عدم استعماله من زمان طويل. وفي الزاوية من المدفأة ، مغلاتان كبيرتان صدئتان، وقدر كبير مقلوبة. وعلى طاولة في زاوية أخرى أوان قصديرية، وكتاب توارة تآكلته الرطوبة، **وفي زاوية أخيرة بعض المعدات** المتفرقة.

قال هاربرت: هذه الغرفة مهجورة من زمان.

قال سبيليت: يبدو ذلك.

قال بنكروف: أرى - عوض العودة الى الشاطىء - أن نمضي ليليتنا هنا.

قال سبيليت: معك حق. وحتى لو عاد صاحب هذا المنزل، فلن يغضب من وجود بشري فيه واتفقوا ، فأغلقوا الباب، وجلسوا على مقعد يتحدثون قليلا ، ويفكرون كثيرا، متحسبين لكل طارىء ، منصتين الى الخارج، فلم يسمعوا صوتا ولاحركة انفتح الباب. . وهكذا ، مرت

ومع انبلاج الصباح، أخذ الثلاثة يتفقدون المكان، متفحصين الواح المنـزل التي تبـين انهـا مأخوذة من هيكل سفينة، وجد سبيليت على احداها كلمة ممحوة منها بعض الحروف، وباق منها:

«بر . . ط . . . يا». فنادى بنكروف الذي هرع وصاح:

ـ «بريطانيا» . . هذا اسم مألوف للعديد من السفن. انما لاأدري اذا كانت هذه انكليزية ام اميركية. لايهم . واذا كان الناجي من ركابها مازال حيا، ستنقذه، أيا تكن بلاده. فنلعد الآن الى سفينتنا.

وعـادوا، فتغدوا مايكفيهم حتى عشاء متأخر، ثم هموا بالعودة الى تنقيباتهم فيما قال بنكروف:

ـ غدا صباحا، نعود الى جزيرتنا. والآن، لانضيعن الوقت. هاربرت، اهتم بجمـع البـذور وأنت بهـا خبير، وأنا وسبيليت نصطاد بعض الخنازير لمؤونتنا.

توجه هاربرت صوب المكان الذي تكثر فيه البذور فيما توجه البحار والصحافي الى الغاب، حيث طالعتهما أنواع من الخنازير راحت تهرب من أمامهما. وبعد ذلك سمعا، على مئات الخطوات الى شمالي الجزيرة، اصوات صراخ استغاثة، وصوت جئير غاضب.

قال سبيليت: هذا صراخ هاربرت.

قال بنكروف: هيا، بسرعة.

وهرعا مسرعين الى مصدر الصوت، فوجدا الفتى ملقى على الرمل، وفـوقه كائن متوحش، بدا قردا هائلا، فهجما عليه غاضبين، وبقوتهما الهائلة أزاحاه عن الفتى ورمياه أرضا وأوثقاه على الرغم من مقاومته الشديدة.

قال سبيليت: هاربرت، هل بك الم؟

رد هاربرت: كلا.

قال بنكروف: آه، لو ان هذا القرد جرحك، لكنت . .

قال هاربرت : . . ولكنه ليس قردا .

عندها التفت سبيليت وبنكروف الى الكائن الطريح ، فوجدا شعرهُ كثيفا أجعد ، ولحيته شعثاء طويلة حتى صدره ، وجسمه عاريا الا من حزام حول خصره ، وعينيه متوحشتين ، ويديه هائلتين ، وأظافره طويلة ، وقدميه قاسيتين ، وبعيد الشبه عن هيئة رجل سوي .

قال بنكروف : هل يوحي لك هذا بأنه رجل ، أو كان رجلا؟

قال سبيليت : مع الأسف : كلا .

قال هاربرت : أيكون هذا هو الغريق؟

قال سبيليت : مهما كان ، واجبنا ان نصطحبه الى جزيرتنا .

وفكا وثاق رجليه لايديه ، فنهض وحده ، بين شفتيه صفير دائم ، انما لم يحاول المقاومة . فاقتاده الثلاثة الى السفينة ، وتركوه تحت مراقبة بنكروف ، فيما عاد هاربرت وسبيليت الى الجزيرة لاستكمال مهمتيهما ، وعادا بعد ساعات محملين بالادوات والبذور والطرائد وخنزيرين حيين ، وضعوها كلها في السفينة ، تهيؤا للابحار مع المد ، صباح اليوم التالي . وكان الاسير في غرفة المقدمة ، هادئا صامتا أصم أخرس ، كالمتوحشين الذين يهدأون طويلا ثم ينتهون غاضبين ثائرين .

مع بزوغ فجر اليوم التالي (١٥ تشرين الاول) ، ارتفعت المرساة في هواء شمالي غربي مؤات ، فوجه بنكروف السفينة صوب الشرق الشمالي الشرقي ، لتتجه مباشرة الى جزيرة لنكولن .

مر اليوم الاول من العودة ، من دون حادثة تذكر . وفي اليوم التالي (١٦ تشرين الاول) ، برد الهواء ونحا صوب الشمال ، بما لاتشتهيه السفينة ، التي بدأت تتعثر بأشرعتها . فقلق بنكروف من حالة البحر . ويوم ١٨ تشرين الاول ، كانت ثلاثة أيام مرت ، ولم تظهر الجزيرة بعد . وكانت ليلة ١٨ / ١٩ تشرين الاول مظلمة وباردة جدا ، لكن الهواء خف فازدادت سرعة السفينة في نحو الحادية عشرة ليلا .

لم يفكر احد من الثلاثة بساعة راحة أو نوم، بل كانوا ساهرين بيقظة شديدة، خوف تنجح
«المغامرة» في اتجاه يبعدهم عن جزيرتهم . وعلى الرغم من قلق بنكروف الشديد، لم ييأس ، بل بقي يخترق الظلمة الشديدة بمعنويات قوية .
ونحو الثانية صباحا، صاح فجأة :
ـ النار. . النار. .

وفعلا ، كانت قد أطلت عليهم نار قوية على نحو ٢٠ ميلا الى الشمال الشرقي : انها جزيرة لنكولن، وهذه النار أشعلها سميث حتما منارة هادية لهم .

في السابعة صباح اليوم التالي (٢٠ تشرين الاول)، بعد أربعة ايام في البحر، رست «المغامرة» على الرمل تحت قصر الصوان . كان سميث وناب ينتظران هناك، وقبل ان يترجل الثلاثة بادرهم سميث :

ـ هل وجدتم الغريق؟

ـ نعم .

ـ وعدتم به؟

ـ نعم .

ـ حيا؟

ـ نعم .

ـ أين هو؟ وماهو؟

ـ أنه . . أو بالاحرى . . كان رجلا . هذا كل مانملك أن نقوله لك الآن .

وتحت نظر المهندس مشفقا، وناب مستغربا، تم إخراج الغريق من الغرفة الامامية في «المغامرة»، ووضعه أرضا حيث أبدى فورا حركة الرغبة في الفرار. لكن سميث تقدم منه ووضع يده على كتفه بحركة سلطوية ونظرة انسانية، فهدأ المسكين تدريجيا ولم يقاوم .

تمتم المهندس: «معزول مسكين. . »، وتأمله مليا فلم يجد فيه بقايا بشرية، لكنه وجد في عينيه التماعة ذكاء.

تقرر وضع المعول - أو المجهول - في غرفة الضيوف من قصر الصوان، لايخرج منها أبدا. فاستسلم هذا بسهولة طائعا، مع انه دمدم متذمرا من هذا الاسر، بعد اعتياده على حريته المطلقة في وساعة جزيرة تابور. وخافوا من أن يرمي بنفسه من إحدى نوافذ المسكن، لكنه عاد فهدأ وارحوا تباعا يطلقون له حرية التحرك.

وأفاد سميث من سويعات نوم المجهول، فجز له شعره ولحيته، وألبسه ثيابا ملائمة بعدما نزع عنه تلك القماشة على خصره. وكان سميث يمضي معه ساعات يوميا، فيعمل امامه ويقوم بمهمات تلفت له انتباهه فيأنس لها، وكان المهندس، في هذا، يراهن على أن لمعة تعيد اليه يقظته، وذكرى تعيد اليه العقل.

وكان الأربعة يتابعون، بانتباه وتأثر، مراحل النقاهة التي تولاها رفيقهم سميث ازاء هذا المجهول الذي كان هادئا جدا ويتعلق تدريجيا بالمهندس. وبات واضحا انه أخذ يسمع ويفهم، انما بقي على عناده بعدم التكلم. سوى ان بنكروف، ذات مساء، ارهف سمعه عند باب غرفة الضيوف، فسمع المجهول يتمتم: «كلا. هنا. أنا. أبدا». ونقل ما سمعه الى رفاقه، فعلق سميث:

- ثمة في كل هذا سر مؤلم.

وكان المجهول بدأ يستعمل ادوات الزراعة، ويعمل بتواصل، وبلا كلل، انما منعزلا منفردا حتى في ساعات الطعام التي كم دعاه اليها الخمسة، فكان يرفض ويأكل منعزلا بعض الخضر النيئة. ومع الليل، لم يكن ينام في الغرفة المخصصة له، بل بين الصخور في الخارج، مثلما كان في منفى جزيرة تابور. ولم تجد محاولات الخمسة في جعله يشاركهم طعاما أو مأوى.



وفي الثـامنـة من مساء ١٠ تشرين الثاني، مع هبوط الليل، فاجأ المجهول الخمسة جالسين على الشرفة، مبهم النظرات متوحش الهيئة كما في أيامه الاولى، تصطك أسنانه غضبا محموما ارعب الخمسة معا. ترى مابـه؟ هل سيعود الى حالته الوحشية؟ وماهي، حتى سمعوه يتكلم بعبارات مشوشة:

ـ لم أنا هنا؟ بأي حق سلختموني عن جزيرتي؟ هل تعرفون من أنا؟ ومـاذا عملت؟ لم كنت هنـاك؟ لم كنت وحدي؟ هل تعرفون ماضي؟ ماأدراكم إن لم أكن سارقا أو قاتلا أو بائسا أو لعينا؟ قولوا.. هل تعرفون عني كل هذا؟

حاول سميث تهدئته، فتقدم منه. لكن المجهول تراجع صائحا:

ـ لا.. لا.. كلمة.. كلمة واحدة فقط بعد.. هل أنا حر؟

ـ نعم، أنت حر.

ـ اذن.. الوداع.

وفر خارجا كالمجنون. لحق به هاربرت وبنكروف وناب حتى طرف الغابة، لكنهم عادوا من غيره فعلق سميث: «اتركوه».

وعـادوا يكملون أعـمالهم المتنـوعة في المسكن والزريبة، حيث فكر سميث ببناء مزرعة. وتم زرع البذور التي أحضرها هاربرت، مما جعل الارض زراعية تتطلب عناية يومية.

في ٣ كانون الاول، غادر هاربرت المسكن ليصطاد في البحيرة عند ضفتها الجنوبية. ولم يكن مسلحا لان الحيوانات الضاربة لم تكن ظهرت بعد في تلك الناحية من الجزيرة. فجأة، صاح هاربرت مستنجدا:

ـ إلي.. إلي.. أنقذوني.

لم يسمع سميث وسبيليت صياحه، بل بنكروف وناب فتركا أعمالهما وهرعا مذعورين اليه، ليجدا ذاك المجهول ـ ولم يكن أحد يفكر انه في تلك الناحية ـ اندفع قبلهما الى الضفة المقابلة كان هاربرت خائفا الى

شجــرة، أمــام نمــر هائــل متكــوم على قائمتيه الخلفيتــين استعــدادا للانقضاض. واذا بالمجهول ـ غير مسلح الا بسكين ـ يندفع الى النمر المتوحش الذي ا، تدار صوب غريمه الجديد . كانت المعركة سريعة: أمسك المجهول بخناق النمر غير هياب أن يغرز هذا مخالبه في لحمه، وغرز باليد الاخرى سكينه في صدر الحيوان الذي هوى صريعا، فرفسه المجهــول وكــاد يهـرب، حين وصــل الخمسة الى ساحة المعركة. واذا بهاربرت يتمسك بالمجهول صائحا:

ـ لا. . لا. . لا تذهب.

تقـدم سميث من المجهـول المقـطب الحـاجبين، النازف من كتفه الجريحة تحت سترته الممزقة.

بادره سميث:

ـ أجرحت؟

ـ لا يهم.

ـ هل تعطيني يدك؟

ـ لا. . لا. . أنتم قوم شرفاء. أما أنا. .

عادت الحياة اليومية الى ماكــانت عليه، واستعاد المجهول حضوره الدائم المعتاد، انما لايشارك في الطعام ولا في أعمال الخمسة، وينام في العراء.

في ١٠ كانون الاول ـ بعد أسبوع من عودته الى حضيرة قصر الصوان ـ رآه سميث يتقدم منه ويبادره بصوت منحن:

ـ ياسيد، هل لي أن أطلب خدمة منك؟

ـ تفضل ياصديقي.

ـ على خمسة أميال من هنا، عند سفح هذا الجبل، لديكم زريبة لحيواناتكم الداجنة. هل تسمحون لي بالعيش فيها؟

رمق سميث هذا التعس امامه بنظرة اشفاق عميقة، وأجاب:

ـ ياصديقي ، لن ننهاك عن أمر. إذا هذه مشيئتك ، فسنجهز لك المكان بما يليق.
ـ لاداع . سأكون مرتاحا هناك كما هو.
لاياصديقي . دعنا نهتم بها سيلائم سكناك هناك.
ـ شكرا ياسيدي . شكرا لك.
وانسحب المجهـول، فروى المهنـدس لرفاقه ماجرى، وقرروا بناء كوخ خشبي له داخل الزريبة. ويوم ٢٠ كانون الاول، أعلن سميث للمجهول أن مسكنه في الزريبة بات مجهزا لاستقباله ، فأجاب هذا بأنه سينام هناك منذ تلك الليلة.
ذلك المساء، كان الخمسة مجتمعين في القاعة الكبرى، يتحدثون ، حين سمعوا طرقا خفيفا على الباب، دخل بعده المجهول، وقال من دون مقدمات:
ـ ياسادة ، قبل أن أغادركم الى مبيتي الجديد، يجمل بي ان اروي لكم قصتي. وهاكم هي.
ثم انزوى في مكان شبه معتم، حاسر الرأس، مكتف اليدين على صدره، وأخذ يروي بصوت عميق القرار:
«ـ في ٢٠ كانون الاول ١٨٥٤ ، كان يخت بخاري سياحي ـ يخص الثري السكوتلندي اللورد غليتارفان ـ يرمي مرساته في مياه رأس بيرنويي على الشاطىء الغربي من اوستراليا، عند خط العرض ٣٧، على متنه صاحبه وزوجته وضابط من الجيش الانكليزي وعالم جغرافيا فرنسي، وشاب وفتاة هما ولدا القبطان غرانت الذي غرقت سفينته «بريطانيا» بها فيهـا ومن فيها قبل عام من ذلك. وكان يقود اليخت: القبطان جون مانغلز. وقبل ذلك بستة اشهر، وجدت في بحر ايرلندا زجاجة تحوي وثيقة مكتوبة بالانكليزية والالمانية والفرنسية ، التقطها ربان اليخت وقرأ الوثيقة فأدرك ان في «بريطانيا» ثلاثة ناجين من غرقها هم القبطان غرانت

واثنان من رجاله، لجأوا الى جزيرة حددوا خط العرض لها (١١، ٣٧). ولم يعد خط الطول مقروءا. فكان سهلا، بملاحقة الخط ٣٧، بلوغ مكان وجود القبطان ورفيقيه. وقرر اللورد فلينارفان القيام بمحاولة إنقاذ القبطان، فتم تجهيز رحلة شاركت فيها عائلته وولدا القبطان (ماري وروبرا غرانت). وانطلق اليخت من غلاسكو صوب الاطلسي، متجاوزا مضيق ماجلان ومصعدا المحيط الهادىء حتى تاغونيا. ثم تجاوز هذه، وجزر تريستان داكونا وأمستردام، ليبلغ رأس بيرنويي على الشاطىء الاوسترالي في ٢٠ كانون الاول ١٨٥٤، حيث، على عدة أميال منه، مزرعة لرجل ايرلندي استضاف الركاب عنده. ولم يكن عالما بغرق «بريطانيا». لكن أحد رجاله، عند سماعه الرواية من الضيوف، تدخل قائلا:

ـ ايها الورد، مجد الله واشكره: إذا كان القبطان غرانت مازال حيا، فهو حي على الارض الاوسترالية.

التفت اللورد غلينارفان الى هذا الرجل وحدجه:

ـ من انت؟

ـ أنا سكوتلندي مثلك، سيدي اللورد، وأنا أحد رجال القبطان غرانت، نجوت من غرق «بريطانيا».

ذلك الرجل، هو آرتون، وكان رئيس عمال «بريطانيا»، انفصل عن القبطان فيما كانت السفينة تغرق، فظن أن سيده مات مع كل الطاقم، واعتقد انه هو الناجي الوحيد من غرق «بريطانيا». ثم أضاف للضيوف أمامه:

ـ انما «بريطانيا» غرقت لا على الشاطىء الغربي بل الشرقي من اوستراليا. واذا القبطان غرانت مازال حيا، يجب البحث عنه عند الشاطىء الشرقي.

كان هذا الرجل ـ أرتون ـ يتكلم بصوت واثق ونظرة أكيدة، فصدقه

اللورد غلينارفان، وقرر عبور اوستراليا عبر الخط ٣٧، بقيادة آرتون، وفي سفينة أخرى تضم اللورد وزوجته وولدي غرانت والظابط الانكليزي والعالم الفرنسي والقبطان مانغلز وبعض البحارة أما اليخت، فتقرر أن يعود به توم أوستن (مساعد القبطان) الى ملبورن (اوستراليا) حيث ينتظر تعليمات الورد غلينارفان.

هكذا انطلقت الرحلة في ٢٣ كانون الاول ١٨٥٤. وهنا علي تنبيهكم الى ان آرتون هذا هو خائن خسيس. فصحيح انه كان رئيس عمال «بريطانيا»، الا انه تشاجر مع قبطانه، وحاول جر العمال الى التمرد، فأمر القبطان بتوقيفه عن العمل، وأنزله الى البر في ٢٨ نيسان ١٨٥٢ على الشاطىء الغربي من اوستراليا، وأبحر بعدها من دونه. لهذ، لم يكن آرتون يعرف تفاصيل عن غرق «بريطانيا» في مابعد. ومنذ عزله على ذلك الشاطىء، اتخذ اسم «بن جويس»، وبات زعيم المجرمين الفارين هناك. واذا هو شدد للورد على ان الغرق تم على الشاطىء الشرقي، ودفع اللورد غلينارفان الىالتوجه نحو ذاك الشاطىء، فلانه كان يأمل في الاستيلاء على اليخت، وجعله قرصان المحيط الهادي».

وهنا، توقف المجهول قليلا عن الكلام، امام الخمسة المنصتين، ثم أكمل بصوت مرتجف:

«ـ كانت الرحلة الى الاراضي الاوسترالية مشؤومة، مادام ان آرتون ـ أو بن جويس ـ هو الذي كان يقودها، يسبقه احيانا، او يتبعه عدد من القراصنة الفارين من اتباعه. وكان اليخت قد توجه الى ملبورن، بانتظار أوامر اللورد حتى يغادر ملبورن ويلتحق بالشاطىء الشرقي من اوستراليا، حيث يسهل على آرتون الاستيلاء عليه. وحين تقدم آرتون بالسفينة قريبا من ذلك الشاطىء وسط غابات شاسعة، أعطي آرتون رسالة على عنوان مساعد القبطان (توم اوستن) يأمره بالتوجه فورا الى الشاطىء الشرقي، عند خليج توفولد، اي على مسافة أيام من حيث

توقفت السفينة، وحيث أعطى آرتون العنوان للمتواطئين معه.

إلا أن الذي حدث، فضح تواطؤ المتآمر الخائن، ولو بعد حين: فقد أخذ الرسالة، وتمكن من الهرب، بالغا ملبورن في يومين، حيث سلم الرسالة الى أوستن، الذي جهز اليخت. لكن آرتون جن جنونه حين اكتشف في اليوم التالي للانطلاق بأن اوستن يتوجه باليخت الى الشاطىء الشرقي من نيوزلندا حاول الاعتراض فاطلعه مساعد القبطان على الرسالة التي شأت العناية الالهية ان يخطىء كاتبها ـ العالم الفرنسي ـ فيذكر الشاطىء الشرقي من نيوزلندا عوض الشاطىء الشرقي من أوستراليا. وهكذا، سقطت مشاريع آرتون بالاستيلاء مع رفاقه القراصنة المجرمين على اليخت في المكان المحدد له ولهم، فأراد الانتقام والتمرد على متن اليخت، انما اعتقله البحارة وسجنوه، واقتيد الى الشاطىء الشرقي من نيوزلندا، حيث بقي اليخت حتى ٣ آذار. ويومئذ، سمع آرتون طلقات مدفع اليخت وهي كانت احتفاء بوصول اللورد اليه.

كيف ذلك؟ بعد الكثير المضني من التعب والمخاطر، تمكن اللورد من بلوغ الشاطىء الشرقي لاوستراليا، عند خليج تووفولد، فلم يجد اليخت، كما كان المتوقع بحسب الرسالة. ابرق الى ملبورن فأجيب: «اليخت أبحر منذ ١٨ الجاري الى جهة مجهولة». وفكر الورد فورا بان اليخت قد وقع في قبضة بن جويس، واختطفه. سوى انه لم يستسلم، بل أبحر على متن سفينة تجارية الى الشاطىء الغربي من نيوزلندا، وفق الخط ٣٧، من دون أن يجد أثرا للقبطان غرانت. ولكنه، يالسعادته وحسن حظه والمصادفة الخيرة، التفت الى الشاطىء المقابل فرأى يخته هناك، عند الشاطىء الشرقي، وكان ينتظر منذ خمسة اسابيع.

كان ذلك، كما قلت لكم، يوم ٣ آذار ١٨٥٥، ومثل آرتون أمام اللورد، الذي كان يرغب في استقصاء كل المعلومات عن القبطان

غرانت، لكن آرتـون رفض ان يتكلم ـ وهـو طبعـا لم يكن عنده من المعلومات مايعطيه ـ فأنذره اللورد بأنه سيسلمه الى السلطات الانكليزية عنـد أول انـزال. الا ان آرتـون فاوضـه بأن يرمي به في إحدى جزر الباسيفيك النائية المهجورة، عوض تسليمه الى السلطات الانكليزية، فوافق اللورد. وعندها قص آرتون حقيقة أمره للورد، من انه لم يعد يعرف أية تفاصيل عن غرانت و «بريطانيا». بعد طرده عن متنها.

وآب اليخت، عبر الخط ٣٧ نفسه، فبلغ جزيرة تابور، حيث قرر الـورد ان يترك آرتـون، وحيث ـ ويالـلمفـاجأة ـ كان القبطان غرانت ورفيقاه. وهكذا، بان على المجرم الفار أن يحل مكانهم في تلك الجزيرة النائية، حيث ترجل آرتون فيما يقول له للورد:

ـ هنـا ستمضي، يا آرتون، البقية الباقية من حياتك، بعيدا عن امثالك البشر. ستكون وحدك، لارقيب عليك الا عين الله التي تقرأ اعماق القلوب. ولكنك لن تكون ضائعا ولا مجهول الاقامة، كما كانت حال القبطان غرانت. فأنا أعرف اين أنت. وسأعرف كيف أجدك في الوقت المناسب. لن أنسى أبدا هذا العنوان.

وأبحر اليخت في ١٨ آذار ١٨٥٥، وبقي آرتون وحده، لاتنقصه مؤونة ولااسلحة ولامعدات ولاحبوب، ولا المنزل الذي أخلاه القبطان غرانت. وكان عليه أن يبقى وحيدا هناك، يكفر عن جرائمه، ويقضي عقوبة الجناية عن كل مارتكبه.

ولكنه، ياسادة، ندم شديدا على كل جرائمه، وخجل، وكان تعسا جدا. ولم تعـاقبه السماء بقسوة، لانه بدأ يشعر بأنه متوحش، وأحس بخبل التوحش يتغلغل فيه، الى أن أمسى التاعس الذي وجدتموه.

بلى، ياسادة، حتما حدستم بان آرتون وبن جويس وأنا، هم شخص واحد..»

وهنا، نهض الخمسة، مع انتهاء الرواية، عميقي التأثر، فتقدم منه

سميث قائلا :

ـ آرتون . انت كنت مجرما ولم تعد . كنت شرسا ، لكن السماء قدرت انك كفرت عن جميع جرائمك ، بدليل انها جمعتك ببشريين مثلك ، هم نحن . والان ، هل تريد ان تكـون . . رفيقنـا؟؟ تراجـع آرتـون مدهوشا من هذا العرض ، فأردف سميث :

ـ هاك يدي علامة .

فهجم آرتون على اليد الممدودة ، وخر عندها ، تملأ عينيه دموع حرى .

وعاد سميث الى الكلام :

ـ هل . . تحب أن تعيش معنا؟؟

ـ سيد سميث ، هل تسمح لي ببعض الوقت ، بعد أبقى في غضونه وحدي داخل كوخي في الزريبة؟

ـ كما ترغب يا آرتون . ليكن لك ماتريد .



- ٤ -

أطل شهر كانون الثاني من العام ١٨٦٧ ، وكان آرتون قد عاد الى كوخه في الزريبة ، يهتم بأمر القطعان الموكلة اليه . وكان الخمسة يزورونه أحيانـا ، كي لايشعـر أنه وحيد . وفكر سميث بأن جعل الزريبة على اتصـال دائم وسريع وسهـل مع قصر الصـوان مباشرة ، وأشرك رفاقه بفكرته يوم ١٠ كانون الثاني ، فسأل بنكروف :

- وكيف ذلك؟؟ هل ستمد خطا برقيا؟؟

- تماما

- كهربائيا؟؟

- كهـربـائيا . عنـدنـا كل مايلزمنـا لصنـع بطارية مولدة كهرباء . الاصعب هو ايجاد الاسلاك لها ، وقد نتوصل الى ذلك بواسطة ملولبة سنخترعها .

- يعني، بعد ذلك، لن أستغرب اذا توصلنا يوما الى التنقل بواسطة خط سكة حديد. وأخذ سميث يهيء الملولبة، بواسطة لوحة فولاذية جعل فيها ثقوبا مخروطية من مختلف الفتحات، وكل فتحة لها قطر مختلف، حتى تحتمل السلك تباعا الى درجة القصافة والدقة المطلوبتين. وتم تثبيت لوحة القصدير هذه، متينة على هيكل مغروز جيدا في التراب، على عدة خطوات فقط من الشلال الذي سيستعمل المهندس قوته المحركة الدافعة التي لدى اندفاعها الاقصى، تشد السلك يجعله يدور على نفسه.

دقيقة كانت العملية، وتطلبت عناية فائقة، لكن المهندس توصل بنتيجتها الناجحة الى الحصول على أسلاك من ٤٠ الى ٥٠ قدما، سهل ربطها وعقدها على طول الاميال الخمسة التي تفصل الزريبة عن قصر الصوان. وبعد تأملات عميقة، باشر المهندس بصنع البطارية المولدة، بأبسط الوسائل، وتمكن من ذلك بعبقريته الفذة وذكائه الخارق. وفي ٦ شباط، بوشر بتثبيت العواميد في الارض، على رؤوسها عوازل زجاجية، مهمتها ان تحمل السلك الى الزريبة، فاستغرقت العملية أياما، وتمت بنجاح. وقد صنع سميث بطاريتين، لاواحدة، أولى للكوخ والاخرى لقصر الصوان، كي يمكن الاتصال ان يكون متبادلا، لا من طرف واحد فقط. أما جهازا الابراق والتلقي فكانا بسيطين، عندما ينطلق التيار من القطب الايجابي عابرا السلك والمغناطيس الكهربائي وصولا عبر الارض الى القطب السلبي. وعند توقف التيار، كان المغناطيس يتوقف تلقائيا عن التمغنط. من هنا كان يكفي وضع لوحة الحديد أمام المغناطيس، فيجذبها مرور التيار، حتى اذا انقطع هذا، ابتعدت. وعند هذه الحركة التلقائية من اللوحة، ركز عليها المهندس إبرة موضوعة على ميناء، هي التي تنذر من محطة الى محطة.

كل هذا تم تركيبه في ١٢ شباط. وكان بنكروف من الفرحة بحيث لم

تنقطع إبراقاته الى الزريبة، كما لم تنقطع، بالتالي، الاجابات عن برقياته.

في تلك الفترة، راح سبيليت ـ بمعاونة هاربرت وبآلة التصوير الفوتوغرافي التي كانت في ذلك الصندوق ـ يلتقط صورا كثيرة لاجزاء ساحرة من الجزيرة، وحصلا، فعلا، على صور جميلة جدا لجميع الجزيرة: ماعليها ومن عليها. وعلق بنكروف صورته في غرفته. الا ان الاطراف، كانت صورة (جوب) الذي بدا جادا وعابسا بشكل مضحك.

هكذا مر عامان على الخمسة، وهم ضائعون في هذه الجزيرة، معزولون عن أخبار العالم المتمدن.. وظهرت فرصة خلاص، ناقشوها معا ذات يوم في الاسبوع الاول من نيسان، وهم مجتمعون في الغرفة الكبرى.

قال سميث: كان اللورد غلينارفان قد وعد آرتون انه قد يعود يوما ليأخذه من جزيرة تابور، حين يقدر أنه يكون كفر عن جرائمه. وأنا أظنه سيعود.

قال بنكروف: وأنا أظنه سيعود. وربما قريبا. اذ مضى على ذلك ١٢ عاما.

قال سبيليت: وأنا من رأيكما معا. لكنه، اذا عاد، سيعود الى جزيرة تابور لا الى جزيرة لنكولن.

قال سميث: لذلك يجب التنويه في جزيرة تابور عن وجود آرتون ووجودنا هنا.

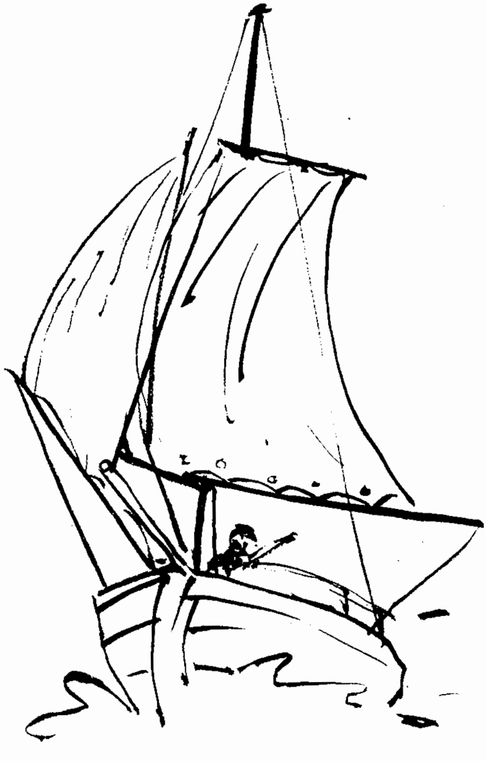
قال بنكروف: المؤسف الا نكون تنبهنا الى ذلك حين كنا هناك.

قال هاربرت: ولم كنا سنتنبه الى ذلك؟ لم نكن عندئذ نعرف قصة آرتون. وحين عرفناها بات الطقس لايسمح بذلك.

قال سميث: صحيح. وعلينا انتظار الربيع المقبل.

بانتظار ذلك، تقرر استعمال السفينة «المغامرة» قبل تدهور حالة الطقس، للقيام بجولة حول محيط الجزيرة، يوم ١٦ نيسان. وتم تجهيز السفينة وتموينها لايام عديدة. وأعلم سميث بالمشروع آرتون سائلا إياه المشاركة فيه معهم. ولما اعتذر هذا، مفضلا البقاء على اليابسة، اقترح عليه الرفاق ان يسكن في قصر الصوان في غيابهم، ومعه جوب.

وفي اليوم المقرر، أقلعت «المغامرة» بالخمسة والكلب، في هواء جيد جنوبي غربي، صوب شناخ الزحاف، بلغته في يوم واحد وتجاوزته لتصل مساء اليوم التالي عند شمالي الجزيرة، حيث مر الليل هانئا. ولم يعد الهواء ينسم الا من الفجر، فعادت السفينة، في الساعة الثامنة، الى الاقلاع من جديد صوب رأس مانديبول في هواء مؤات.



قال بنكروف: لكنني اشعر بهبوب قريب من الغرب غير مؤات. كم يلزمنا، بعد، لبلوغ الرأس؟

قال سميث: نحو ١٥ ميلا.

قال بنكروف: أي نحو ساعتين ونصف ساعة، فنكون في عرض الرأس بين الثانية عشر ظهرا، والواحدة، حين - مع الاسف - ستبدأ حركة الجزر في الجون، وأخشى عندها أن نعجز عن دخوله في هواء وبحر يعاكساننا.

قال سميث: وماالعمل؟

قال بنكروف: سأحاول البقاء في عرض البحر حتى السابعة مساء، واذا كان امامنا بعض الضوء النهاري، أدخل في الجون بحذر، والا نمضي ليلينا في السفينة. آه لو ان على هذه الجزيرة منارة، كم كانت سترشدنا.

قال هاربرت: صحيح. وهذه المرة لن يكون على المهندس ان يشعل لنا نارا نهتدي بها.

قال سبيليت: آ، حقا، عزيزنا سميث، لم نشكرك في حينه، ولكن نارك ليلتئذ..

قال سميث: ناري أ!نا؟؟؟

قال بنكروف: نقصد اننا كنا فعلا تائهين ليل ١٩ / ٢٠ تشرين الاول، وكان يمكن ان نجتاز الجزيرة ونتيه، لو لا نارك.

قال سميث: صحيح. كانت ليلتها فكرة مصيبة.

بعد لحظات، كان سميث ينتحي بسبيليت على مقدمة السفينة، ويهمس في اذنه:

- ولكن.. أنا لم أشعل نارا ليلة ١٩ / ٢٠ تشرين الاول..

كما توقع بنكروف، جرت الامور المناخية، فبرد الهواء البحري ثم هاج البحر، في نحو الساعة السادسة، والسفينة امام الجون، وحركة

الجزر ابتدأت، فاستحال الدخول، وبقيت (المغامرة) في عرض البحر طوال الليل.

ومع خيوط الفجر الاولى، هدأ الهواء البحري، فدخل بنكروف الجون بسهولة، نحو الساعة السابعة. فيما بنكروف يعلق:

قال بنكروف: هي ذي قطعة من البحر تشكل مرسى جيدا، ويمكن ان تبقى «مغامرتنا» فيه سنة كاملة لاتحتاج فيها الى شد الياطر (المرساة).

قال سبيليت: انما ينقص هذا المرسى أمر مهم.

قال بنكروف: ماهو؟

قال سبيليت: مكان يمكن أن نترجل فيه الى الجزيرة.

وفعلا، كانت الصخور المحيطة بالجون عالية جدا، لا منفذ فيها لوضع قدم، ووراءها كثبان كثيفة هي التي ألقي بينها المهندس، وفيها تتواجد طيور البحر بالمئات.

عندها، وجه بنكروف السفينة الى طريق العودة، وفي الساعة الخامسة كانت السفينة ترسو تحت قصر الصوان حيث اكتشاف محيط الجزيرة من دون أن يلمحوا أثرا لاحد. ولو كان أحد ساكنا فيها، لما كان يمكن أن يكون الا في تلك الادغال الغابوية المكتظة الشديد المتوحشة، حيث لم يكن أحد من الخمسة قد دخل أو توجه.

مرت أشهر الشتاء الاربعة (حزيران، تموز، آب، ايلول) قاسية جدا، انما لو يعان منها قصر الصوان، ولا حتى الزريبة التي كانت محمية من الريح في سفح جبل فرنكلين. ثم عاد فصل الصحو، وتجددت الطبيعة تحت أشعة الشمس وبين زهرات الغاب.

واذ كان هاربرت وسبيليت، كما رأينا، بدأ بالتقاط الصور، انجذب هاربرت يوم ١٧ تشرين الاول بصفاء الاثير، ففكر بالتقاط صورة لخليج الوحدة في طقس صاف، يبدو فيه الخليج كله من رأس مانديبول حتى

رأس غريف. ولهذه الغاية، ركز عدسته على إحدى نوافذ الغرفة الكبيرة من قصر الصوان، ليرى ـ من تلك الزاوية في العدسة ـ كل الشاطىء وكل الخليج. وبعد التقاط الصورة، أخذ الشريحة السلبية، كالعادة، ليظهرها بالمحلول المعتاد داخل خلوة مظلمة في احدى الغرف. وبعد تظهيرها عاد الضوء يتأمل الصورة، فرأى فيها نقطة صغيرة جدا على مستوى الافق البعيدة. وظنها وسخة من الزجاجة، فدفعه فضوله بأن جاء بمجهر مكبر ليتفحص هذه النقطة. وماكاد يتأملها بتأن، حتى بدرت منه صيحة، وهرع الى غرفة سميث يريه إياها، فتفحصها هذا على المجهر المكبر، ثم قفز الى منظاره الطويل، ركزه على النافذة منقبا ببطء عبر عرض الافق، الى ان جمدت يده فجأة عند نقطة معينة، بقي عندها مدة ثوان، تنهد بعدها، متمتما بكلمة وحيدة: «سفينة».



- ١ -

تجمع الخمسة في القاعة الكبرى، وروى لهم (سميث) مارأى، فهب بنكروف متلهفا بالمنظار الطويل الى النافذة، وصاح بعد لحظات تركيز:

- الله! انها فعلا سفينة. يجب الابراق لآرتون واستدعاؤه فورا فيعرف اذا كان هذا هو اليخت.

وأبرق سبيليت الى آرتون يستدعيه على عجل، فأجاب هذا ببرقية جوابية: «سأحضر حالا». وفي تمام الساعة الرابعة كان يطرق الباب ويدخل، فاصطحبه سميث فورا الى النافذة شارحا له الامر، فشحب قليلا وتأمل في البعيد من النافذة، فلم ير شيئا، فقدم له سبيليت المنظار الطويل، الذي تفرس منه طويلا ثم رفع عينيه:

قال آرتون: انها فعلا سفينة. لاأظنها اليخت. فهذا بخاري ولا أرى أثرا هناك لدخان.

قال بنكروف: ألا يمكن أن يكون جاريا بأشرعته فقط؟ يبدو الهواء مؤتيا لها الآن.

قال آرتون: بلى، يمكن. فلننتظره يقترب أكثر.

وانتحى هذا في زاوية، وغرق في تأملاته، بينما الخمسة يتابعون تحرك السفينة التي ما لبثت أن غيرت اتجاهها، وتوجهت مباشرة صوب خليج الوحدة. فأعطى آرتون المنظار الطويل وعاد يتأمل السفينة طويلا، فوجدها شراعية متممة التجهيز، انما لم يتمكن من معرفة هويتها.

قال سبيليت: في غضون نصف ساعة، سنعرف.

قال بنكروف: لاتبدو أميركية ولا إنكليزية. الراية عليها غير بينة تماما.

ثم هب هواء خفيف لوح بالراية، فاستأثر آرتون بالمنظار الطويل، وماهي الا لحظات حتى صاح مذعورا:

ـ آه، لا!! انها راية.. سوداء!!

فقال سميث، وقد امتقع لونه:

أصدقائي.. إذا حاول هؤلاء القراصنة الاستيلاء على جزيرة لنكولن، هل أنتم مستعدون للدفاع عنها؟

فأجاب سبيليت فورا:

ـ طبعا ياسميث، نموت جميعنا في الذود عنها.

وتشابكت الايدي قسما، فيما يبسط الليل عتمته الشاملة على البحر والجزيرة، تزيده الغيوم الدكناء سوداء أدكن. ولم تعد السفينة مرئية، لان انوارها كانت مطفأة. وبعد قليل. قال بنكروف:

ـ قد تغير طريقها في هذا الليل، وتحول اتجاهها فنفقدها مع الصباح.

وكما جوابا عن تخمين بنكروف، سمع الجميع من البعيد في صمت الليل، صليل السلاسل عبر الكبلية (فتحة سلاسل المرساة في مقدمة



السفينة). هاهي السفينة رست مقابل قصر الصوان في عرض البحر. إذن، نوايا القراصنة واضحة: لقد رموا الياطر (المرساة) على مسافة قريبة من الجزيرة، ليبلغوها مع الفجر في قواربهم.

قال سميث: على أي حال، نحن هنا داخل قصر الصوان، في وضع منيع.

قال بنكروف: ولكن.. يمكنهم في ساعات قليلة ان يتلفوا مزروعاتنا وفناء الدواجن والزريبة، وكل مابنيناه في أشهر طويلة.

قال سميث: ممكن. في الخارج لانملك وسائل لصدهم.

قال آرتون: سيد سميث، هل تأذن لي بالتوجه نحو السفينة فأتبين قوة طاقمها؟؟

قال سميث: ولكن، ياآرتون، هكذا تخاطر بحياتك.

قال آرتون: ولم لا أخاطر، اذا كان في ذلك نفع لكم؟

قال سميث: لا، هذا أكثر من واجبك.

قال ارتون: وأنا علي ان أقوم بأكثر من واجبي، تجاهكم.

قال سبيليت: و.. تتوجه الى السفينة بقاربنا الصغير البدائي هذا؟

قال آرتون: كلا ياسيدي، بل سباحة. القارب لا يتغلل حيث يمكن السابح أن يندس.

قال بنكروف: أنا أرافقك؟

قال آرتون: هل.... تتحداني

قال سميث: لا، لا آرتون، لا. بنكروف لايتحدك، لاتسيء فهمه.

قال بنكروف: بل اقترحت ذلك، إذ ربما واحد منهم تقدم صوب القصر، فنتولاه كلانا.

استقل بنكروف وآرتون القارب الصغير، في نحو العاشرة والنصف ليلا، وغلا في العتمة، فيما رفاقهما ينتظرون في مكان الكهف القديم. فاجتازا الجون، وتوقفا عند الشاطىء المقابل للجزيرة، حيث ترجلا

وتسللا خلسة مجفلين الطيور الهاجعة في فجوات الصخور، ثم غطس آرتون وحده باتجاه السفينة التي تبينها من أنوار صغيرة خافتة عليها، فيما بقي بنكروف ينتظره على الشاطىء.

بعد نصف ساعة، كان آرتون بجانب السفينة ويتعلق بأسفل الصاري المائل، ثم يأخذ نفسا طويلا ويتسلق اكثر، مستندا الى مكان ثابت، وأخذ يتنصت. لم يكن افراد الطاقم نياما، بل على العكس يتحدثون ويغنون ويضحكون، وسمع منهم حوارا، هنا بعضه:

ـ مدهشة هذه الجموح، كم هي سريعة. (المقصودة: السفينة).

ـ لو جندت نورفوك كل بحريتها لما لحقت بها. هو ذا كأس قبطانها.

ـ نشرب جميعنا كأس بوب هارفي. هذا نخبك.

ولايمكن ان نفهم ماذا أحس آرتون حين سمع هذا الحوار، الا حين نعلم أن بوب هارفي هو واحد من رفاقه القدامى في اوستراليا. اذن، هو استولى على هذه السفينة من ضواحي جزيرة نورفوك وها أفراد زمرته كلهم معه، يجوبون عليها في المحيط الهادىء. وهكذا، يكون هؤلاء جميعهم من الاسرى الانكليز الفارين من جزيرة نورفوك، حيث عادة يمضي المحكومون مدة عقوبتهم.

اذن، بات قصر الصوان مهددا بخطر محدق، لاسيما وأن الجزيرة ـ بمرفاها الصغير والخيرات التي باتت فيها بفضل الخمسة ـ صيد شهي للقراصنة الذين سيجدون فيها ملجأ ثمينا، بعدما، طبعا، لن يوفروا حياة من عليها. فهل يقاوم هؤلاء؟ وهل ينتصرون؟ هذا متوقف على طاقم القراصنة ومدى تسليحهم، وهو ما لاجله قصد آرتون السفينة.

بعد ان تنصت هذا من خلف قاعدة الصاري، تسلل بين النيام والسكارى، فجال في كل السفينة خلسة، وتبين عليها أربعة مدافع، قنبلة الواحد منها نحو خمسة كيلو غرامات. اما النيام على سطحها فنحو عشرة. يبقى النيام في الداخل، قرر آرتون الولوج ليتبينهم،

فتسلل على ضوء فانوس عند قاعدة الصاري الكبير، حيث كان مسند أسلحة يحوي مختلف الانواع والعيارات. فأستل منه آرتون مسدسا وتأكد من أنه محشو، وهم بالتحرك فإذا بيد تضغط على كتفه، وصوت أجش يصرخ به:

- ماذا تفعل هنا؟

التفت آرتون، فإذا هو امام رجل طويل بدين، صوب عليه من الظل مصباحا، فتراجع آرتون لكنه لمح من لمعة المصباح أنه أمام (بوب هارفي) الذي أعاد سؤاله:

- ماذا تفعل هنا؟

وأمسك آرتون من حزامه، فلم يجب هذا، بل حاول الفرار ودفع بغريمه الذي صاح:

- إلي يابحارة. . بسرعة.

استيقظ على صوته ثلاثة بحارة فنهضوا وهجموا على آرتون لتكبيله، لكنه تخلص منهم وأطلق مسدسه في طلقتين أسقطتا قرصانين، فيما مزقت لحم كتفيه ضربة سكين. لم يأبه، بل أفاد من تراجع خصومه لدى طلقتي المسدس، فهرع الى سلم النزول، ضاربا في طريقه الفانوس، كسره فجعل في المكان عتمة شديدة تساعده على الفرار. والتقى على السلم ثلاثة قراصنة كانت قد أيقظتهم الجلبة، فأطلق على واحد منهم فسقط، وهرب الباقيان غير مدركين مايجري. وقفز آرتون الى سطح السفينة ومنه انحدر الى الدرابزين ثم ارتمى في الماء تحت زخ الرصاص حوله في كل مكان.

هائلا كان قلق سميث ورفاقه. ونحو الثانية عشر والنصف، رسا القارب عائدا ببنكروف سليماً وبآرتون جريح الكتف، فاستقبلوهما بحرارة. ومر الليل من دون أي حدث، ومع خيوط الفجر الاولى بدأوا يتبينون السفينة بين كثافة الضباب. فقال سميث:



ـ أصدقائي ، هاكم ماأتصوره قبل ان ينقشع الضباب : ننقسم ثلاثة فرقاء: أول هنا في الكهف القديم قرب قصر الصوان، مني ومن هاربرت ، وثانيا على الرمل، من سبيليت وناب بعدما يرفعان الجسر عن الساقية ، وثالثا عند الشاطىء المقابل على فتحة الجون، من بنكروف وآرتون يبلغونها بالقارب الصغير فيحاولان تأخير نزول الشاطىء المقابل على فتحة الجون، من بنكروف وآرتون يبلغانها بالقارب الصغير فيحاولان تأخير نزول القراصنة . وهكذا، حين تنطلق النيران على القراصنة من ثلاثة أماكن مختلفة في الجزيرة، يخيل لهم انها محروسة ومنيعة بعدد كبير من المدافعين .

وافق الجميع على مخطط سميث، فشبكوا أيديهم قسما أخيرا، وتقدم بنكروف متأثرا جدا من هاربرت فضمه لقبلة أبوية، وتفرق الجميع، عند السادسة والنصف صباحا، والضباب يتمزق نتفا عن السفينة، حتى بدت واضحة، مثبتة بمرساتين، جؤجؤها (مقدمها) الى الشمال، وخاصرتها اليسرى صوب الجزيرة.

ومثلما قدر سميث، كانت على ميل وربع من الشاطئ يرفرف على صاريتها علمها الاسود، وعلى متنها نحو ثلاثين قرصانا يتحركون، بعضهم صعد الى أعلى الكوثل، واثنان على الدرابزين يتفحصان الجزيرة بمنظارين. ومرت ساعة ونصف ساعة من دون اية بادرة. يبدو ان (بوب هارفي) متردد في النزول الى البر.

في نحو الثامنة، لاحظ الجزيريون بداية حركة، ثم رأوا زورق نجاة يرمى في الماء، وينزل فيه سبعة رجال مسلحين، ليبدأ الزورق بالتحرك متقدما ببطء وحذر، في مقدمته قرصان يحمل مسبارا يقيس عمق الماء من حين الى حين، مما يشير الى عزم بوب هارفي على التقدم بالسفينة أكثر. وتوقف الزورق على مسافة قلسين، فوقف قائده ليتبين المكان الافضل للرسو، لكن طلقتين انطلقتا معا من بنكروف وآرتون أصابتا قائد الزورق وحامل المسبار فوقعا في الزورق. وتلا ذلك دوي انفجار هائلة في السفينة أصاب رؤوس الصخور فشظاها، لكن آرتون وبنكروف لم يخمشا. وانطلقت من الزورق صيحات غضب وسخط، وتحرك، لاليقفل عائدا، بل راح يحاذي الشاطئ باتجاه الجنوب، تحميه طلقات من مدافع السفينة. وبات واضحا تصميم القراصنة على دخول الجون. وبعد عشرين دقيقة، كان الزورق يرسو خلف الصخور حيث بنكروف وآرتون، وكان المد قد بدأ، فقذف بالقراصنة تلقائيا الى الساقية. وماهي الا لحظات حتى دوت طلقتان أخريان من سبيليت وناب، أصابتا اثنين اخرين من القراصنة، فتلتهما هذه المرة أيضا قذيفة

مدفعية أحدثت غبارا كثيفا لكنها لم تصب احدا.

لم يعد في الزورق الا ثلاثة سالمون، فاستدار صوب شمالي الجزيرة بالمجـذافين المتبقيين فيه، وعاد ملتحقا بالسفينة، فبلغها وسط صراخ الجرحى ولعنـات السليمـين. وانـطلقت صوب الجزيرة أربع قذائف مدفعية، ثم انقض على الزوورق اثنا عشر قرلاصانا غاضبين هائجين، ورمي الى البحر بزورق آخر ركب فيه ثمانية آخرون، فتوجه ذاك مباشرة صوب الشاطىء، وتوجه هذا الى فتحة الجون.

هكـذا، بات موقف بنكـروف وآرتون خطرا جدا، فانتظرا اقتراب الزورق منهما وسددا طلقتين أصابتا قرصانين، ثم هرعا، وهما يطلقان النار، مرتمتين في زورقهما، يجذفان صوب الكهف، تحت انفجارات مدفعية هائلة على فتحة الجون الذي كان زورق القراصنة قد اقترب منه.

وأطلق سبيليت وناب طلقتين اردتا اثنين من الثمانية، وانقلب الزورق فنجا الستة الباقون الى الضفة اليمنى من الساقية، وهربوا مذعورين خارج مرمى النار.

الوضع الآن بات كالآتي: على الشاطىء اثنا عشر قرصانا بينهم جرحى، وفي تصرفهم زورق، وعلى الجزيرة ستة فارين يستحيل بلوغهم قصر الصوان لأن الجسر فوق الساقية مرفوع. راح الاثنا عشر يتراجعون صوب الشاطىء المقابل، حتى لم يعد يفصلهم عن البر غير القناة، ولم يكن معهم الا بنادق بسيطة ويتقدمون مكشوفين. وماهي الا لحظات حتى اصاب بنكروف وآرتون اثنين منم، فذعـر البـاقـون وهـرعوا الى الزورق عائدين القهقرى، مجذفين بهلع.

وهنا، قال آرتون وهو يحشو بندقيته:

ـ الوضع يزداد تعقيداً: السفينة تستعدء للاقلاع، وها مرساته ارتفعت.

وكـان الهواء بدأ يهب، فيما السفينة تقترب من الشاطىء في هدف واضـح: الـرسو امام قصر الصوان. لترد بالمدافع على بنادق بسيطة، جرحت وأردت بعض طاقمها.

ظلت السفينـة تتقـدم، فتجاوزت الشاطىء المقابل، صوب فتحة الشكران، فيما انضم سبيليت وناب الى رفاقهما الاربعة في الكهف، قرب قصر الصوان. قال سبيليت:

ـ سميث، هل لديك أي تصور؟

ـ نلجأ الى قصر الصوان مادام هذا مايزال ممكنا والقراصنة لم يرونا بعد.

لم يكن عندهم أية خطة يهدرونها، فغادروا الكهف، وفي ثوان قليلة كانـوا قد تسلقـوا الى باب قصر الصوان، واندفعوا بسرعة الى القاعة الكبرى، حيث كان توب وجوب بانتظارهم. وفيما ظنوا بأن قصر الصوان في منأى عن مرمى المدفعية، اذا بقذيفة تحاذي الباب وتستقر في الممر. فصرخ بنكروف:

ـ اللعنة! لقد اكتشفوا مكاننا.

ووسط ارتبـاك الجميع من هذا الاكتشـاف، وذهـوهم وتأملهم في مايجب عليهم فعله، سمعـوا دويا هائلا جدا تبعته أصوات استغاثة مذعورة، فهرعوا الى النوافذ ليروا السفينة.. مرفوعة بقوة على عمود ماء هائل، وهي تنقصف قطعتين، وفي ثوان قليلة تبتلعها المياه بما فيها ومن فيها.

قال بنكروف: هه! لقد انفجرت وانفجروا!!

قال سبيليت: ولكن، كيف؟ مااللذي حصل؟

قال سميث: هذه المرة، سنفهم كل شيء.

وهـرع بنكـروف الى السلم خارجـا، يتبعه ناب وهاربرت. كانت بعض الفضـلات باقية مبعثـرة على وجـه المياه، بينها عتاد من صوار

وعوارض احتياطية ، وأقفاص دجاج مع بعض الدجاجات الناجية، وصناديق وبراميل راحت تطفو تدريجيا. وقبل أن يكون للجزر وقت جرف هذه الخيرات جميعها، هرع آرتون وبنكروف الى الزورق، جاءا به ليحملاها الى شاطىء الجزيرة، أو في الاقل الى الشاطىء المقابل. فربطا الصواري والعوارض بحبال، وجراها الى رمل قصر الصوان، حيث كان رفاقهما فسحبوها، ثم عاذا بعدها بكل ماتبقى من اقفاص وصناديق وبراميل، فحملوها الى الكهف.

لم يطف على وجه المياه الا ست جثث. حملها الجزر الى عرض البحر. والارجح أن القراصنة فوجئوا بالانفجار، فلم يكن لديهم وقت للهرب ، وغرقت السفينة على جنبها فطحنتهم تحتها.

طوال ساعتين ، انشغل سميث ورفاقه بسحب أعمدة الصواري ونزع أشرعتها لتجفيفها، وقد كانت سليمة. ونحو الواحدة والنصف، بدأت مقدمة السفينة تظهر فوق الماء، فيما هيكلها ملوي على جانبه، بفعل هذا الانفجار، تحت الماء، لم يجد له أحد تفسيرا. ودار الجزيريون حول الهيكل، وتدريجيا بانحسار المياه مع الجزر، راحوا يكتشفون نتائج الانفجار لا سببه. فاذا بالجوانب ممزقة تماما، والعارضة الرئيسية مخلوعة كليا بقوة عنيفة.

قال بنكروف: اللعنة !! هذه سفينة سيصعب علينا تعويمها.

قال آرتون: بل سيتحيل.

قال سبيليت: على أي حال، يابنكروف ، كان للانفجار ـ اذا اعتبرنا ان الذي فعل هذا هو انفجار ـ آثار واضحة. فقد حطم الهيكل كله.

قال سميث: لنحاول الولوج الى الداخل، لعلنا نتبين سبب ماحصل.

ودخلوا، في يد كل منهم فأس، ليجدوا معدات وأدوات متنوعة ومختلفة، ومفيدة للاستعمال في جزيرة لنكولن. وبلغوا العمق، حتى

مستودع البارود، من حيث فكر سميث انه يأخذ بعض البراميل اذا لم تعرض للانفجار، لأن البارود يكون عادة في براميله مغلفا بمعدن سميك. وهذا هو ما حصل، فعلا، فوجدوا - بين كمية كبيرة من القذائف - نحو عشرين برميلا مغلفا داخلها بالنحاس، سحبوها بدقة وعناية، وقروا أن تدمير السفينة لم يكن نتيجة انفجار من داخلها.

قال هاربرت: ماالذي حصل إذن؟

قال بنكروف: لست أدري. ولا السيد سميث يدري. ولا حد بيننا يدري أو سيدري.

والأيام الثلاثة اللاحقة (١٩-٢٠-٢١ تشرين الاول) أمضوها بإنقاذ ما أمكنهم حمله وسحبه بما يعود عليهم بالفائدة. وكان آرتون وبنكروف قد غطسا غير مرة حتى العمق، وعادا بسلاسل المرساة وبقطع المدافع. وتحمس بنكروف مما تم إيجاده، فعرض ان يصنع بطارية يحرك بها الجسر كهربائيا.

وفيما لم يعد من هيكل السفينة الا بقايا الحطام، هب الهواء فبعثر ما تبقى منه. وكان يمكن ان يبقى لغزا كل ماحصل، لو لم ير ناب - فيما هو يمشي على الرمل يوم ٣٠ تشرين الاول - قطعة اسطوانة حديدية سميكة ممزقة ومشظاة.

قال سميث: ياأصدقائي، هل تتذكرون أن السفينة، قبل غرقها، علت على عمود ماء ثم هوت؟؟

قال هاربرت: نعم.. صحيح.

قال سميث: والذي سبب عمود الماء، هو هذا القسطل المكسور.

قال بنكروف: هذا؟؟

قال سميث: نعم، هذه الأسطوانة المكسورة هي كل ماتبقى من النسيفة (الطربيد).

وهكذا فهم الجميع ان الانفجار حصل بسبب نسيفة غواصة تحت

السفينة . ولكن مالم يفهمه أحد : كيف وصلت هذه النسيفة المتفجرة الى مياه القناة تحت السفينة؟

قال سميث : أصدقائي ، لم يعد من شك أبدا أن على هذه الجزيرة شخصا غامضا . من هو هذا المحسن المجهول؟ لاأعرف . أية مصلحة له بالتصرف هكذا ، وبالاختفاء وراء كل خدماته نحونا؟ لاأفهم . لكن خدماته واضحة ، ووحده شخص يملك قوة التصرف والتنفيذ يمكنه القيام بها . آرتون أيضا مثلنا مدين لهذا المجهول الذي حتما هو أنقذني من بين الامواج والصخور يوم سقطت ، وهو الذي حتما كتب تلك الوثيقة ووضعها في الزجاجة عند فتحة القناة لنكتشفها ونهتدي الى موضع آرتون . وحتى ذلك الصندوق بما فيه من ادوات ومعدات عادت علينا بفائدة عظيمة ، هو الذي غرزه في الرمل لكي نجده . وتلك النار على قمة الجزيرة ليلا ، ساعدتكم على الاهتداء الى الجزيرة والرسو ، هو الذي أشعلها لا أنا . والرصاصة التي في جسد البيكاري ، هو الذي أطلقها . والمتفجرة تحت السفينة هو الذي أسقطها في القناة . وبكلمة ، جميع هذه الاحداث التي لاتفسير لها ، وراءها هذا المجهول الغامض .

قال آرتون : سيد سميث ، علينا أن نقوم بكل جهد ممكن لايجاد هذا المحسن النبيل .

قال سميث : هذا أكيد . وسنبدأ قريبا جدا . ولن ندع زاوية من الجزيرة الا ونمشّطها ، مهما كانت نائية وكثيفة . وسيغفر لنا هذا الصديق المجهول توغلنا ، لأن نيتنا طيبة .

قال بنكروف : ولكن . . . اولئك القراصنة الستة الفارون في مكان ما من الجزيرة ، ماذا نفعل بهم؟ هل نتركهم يجوبون في حقولنا وسهولنا ومراعينا؟

قال سميث : ربما يندمون ويتوبون .

قال بنكروف : يتوبون؟؟ يندمون؟؟ اشك .

قال سميث: بنكروف، من عادتك ان تحترم رأيي. هلاّ احترمته هذه المرة ايضاً؟؟

قال بنكروف: سأفعل ما تريده، ولو عن غير اقتناع.

قال سميث: اذن، ننتظر، ولانهاجم الاّ اذا هوجمنا.

هكذا، تقرر عدم الهجوم، انما اتخاذ اقصى تدابير الحيطة والحذر في التنقل.



- ٢ -

تركز اهتمام الستة على تمشيط الجزيرة تماما، لهدفين : اكتشاف هذا الشخص المجهول الذي لم يعد من شك في وجوده، واكتشاف مخبأ القراصنة الفارين.

اتفقوا على عودة (آرتون) الى الزريبة للاهتمام، طوال يومين فقط، بالحيوانات ،ثم يعود الى قصر الصوان. سأله سميث اذا كان يرغب في احد يرافقه، لان الجزيرة لم تعد آمنة كما كانت من قبل.

فأجاب آرتون انه مستيقظ ولا يخشى احداً. وفي صباح اليوم التالي (٩ تشرين الثاني) خرج، وبعد ساعتين ابرق لهم بأنه وصل، والزريبة على وضعها الطبيعي.

مساء العاشرة من تشرين الثاني، ابرق سميث الى آرتون طالبا اليه ان يأتي لدى عودته بعنزتين يريد (ناب) ان يرعاهما في حقل الصوان. الا ان آرتون لم يجب، كما هي عادته، فقلق سميث جداً. وعند العاشرة

مساءً، اعاد الكرة، ولا جواب. فما الذي جرى؟ هل غادر آرتون الزريبة؟ هل ما زال فيها انما لم يعد سيد تصرفاته؟ وهل من الحكمة الذهاب الى الزريبة في هذه الحلكة؟

قال هاربرت: ربما الجهاز لم يعد يعمل.

قال سبيليت: ممكن.

قال سميث: فلننتظر الى الغد.

وأمضوا ليلتهم في قلق شديد. حتى اذا لاحت الخيوط الاولى من صباح ١١ تشرين الثاني، ابرق سميث ثالثة جوابا. فقال:

ـ هلموا. وكونوا مسلحين بما يكفي.

تقرر ان لايخلى قصر الصوان تماما، بل يبقى فيه ناب للحراسة، ويرافق رفاقه حتى الجسر، فيرفعه بعد عبورهم، وينتظر خلف شجرة رجوعهم او رجوع آرتون ليمد الجسر. وانطلقوا، يتبعون الطريق والسلك البرقي معا، حتى اذا وصلوا الى العمود رقم ٧٤ صرخ هاربرت وكان في الطليعة:

ـ السلك مقطوع هنا.

لاقاه رفاقه فوجدوا العمود في عرض الطريق. ثم اكملوا فاطلوا من بين الاشجار على الزريبة التي لم يكن باديا فيها اي اثر تخريبي بابها، كالعادة، مغلق، ويخيم عليها صمت عميق تقدم سميث رفاقه، فيما ظلوا على عشرين خطوة وراءه، ايديهم على الزناد استعدادا. رفع قفل الباب وكاد يفتح احد المصراعين، فنبح (توب) شديدا، وفي اللحظة نفسها دوى انفجار من فوق الزريبة، وعلا صوت استغاثة. التفت سميث فوجد هاربرت على الارض نازفا. هرع اليه، فيما دس سبيليت اذنه على صدر الفتى:

قال سبيليت: ما يزال قلبه ينبض. ولكن، كيف نحمله؟

قال بنكروف: نضعه في الزريبة.

قال سميث : مهلا .

وتقدم هذا الى اليسار ليدور حول الزريبة متفقدا . ففوجىء بقرصان يصوب عليه ويطلق ، لكنه اصاب منه قبعته فقط . وبعد لحظات ، كان القرصان صريعا بطعنه خنجر من سميث في قلبه . في هذه الاثناء ، كان سبيليت وبنكروف يحملان هاربرت الى داخل الزريبة ، حيث مدداه على سرير آرتون ، وعريا صدره وأوقفا النزف بقماشة غسلا بها الجرح بالماء البارد ، واكتشفا بأن الرصاصة اخترقت الصدر بين الضلعين الثالث والرابع . ثم قلبا الفتى على ظهره فصرخ ألما ، واكتشفا ثقبا آخر في ظهره هو الذي خرجت منه الرصاصة فوفرت عليهما استئصالها . عندها ، ركز هاربرت على جنبه الايسر ، وقال :

ـ يجب ألا يتحرك . هذه أفضل وضعية لجرحه .

وشرح سبيليت لسميث ضرورة وقف النزف من دون ختم الجرحين كي لايحصل في الصدر تقيح . لذا ، تم تحضير كمادات على الجرحين ، تتبدل بالماء البارد كي لايلتهب الجرح . كانت حرارة الفتى قد ارتفعت وبقي فاقد الوعي نهارا وليلة بكاملهما .

في اليوم التالي (١٢ تشرين الثاني) عاد الى الثلاثة بعض الامل ، اذ فتح هاربرت عينيه وتعرف اليهم ، فيما رجاه سبيليت ان يخلد الى الراحة ، مؤكدا له ان حياته ليست في خطر ، لأن التقيح كان يخرج ، والحرارة تهبط .

فيما كان بنكروف يسهر الى جانب المريض ، راح سميث وسبيليت يجوبان الزريبة ، فلم يجدا أثرا لآرتون . هل اقتاده رفاقه القدمى ؟ هل سقط في معركة معهم ؟ ربما . سأل سميث :

ـ كيف السبيل الى تنبيه ناب ؟ ؟

وفيما كان يفكر بالامر ، رأى توب فناداه ، وقال سبيليت معلقا وقد فهم :

ـ معك حق. (توب) يمر حيث لاأحد يمكنه المرور.

وعلى إشارة من المهندس، كتب سبيليت على ورقة من دفتره: «هاربرت جريح. نحن في الزريبة. إبق على تأهبك. لاتغادر قصر الصوان. هل لاحظت تحركا للقراصنة؟ أرسل جوابك مع توب».

طوى سميث الورقة وعلقها في طوق (توب)، وقال وهو يداعبه:

توب، هيا الى ناب. توب: ناب، ناب، ناب، ناب...

فهم الكلب فقفز فرحا وانطلق. انتظر الثلاثة عودته بقلق. ونحو الساعة الحادية عشرة، سمعوا طلقا ناريا ونباح الكلب. فهرع سميث الى الباب، فتحه ورأى آثارا لدخان بندقية على نحو ١٠٠ خطوة. فصوب وأطلق على تلك النقطة. وماهي الا لحظات حتى كان توب في الزريبة، فأقفل سميث الباب بإحكام، وكان في طوق (توب) بطاقة فأخذها وقرأ: «لاقراصنة حول قصر الصوان. انا لن أتحرك من هنا. آسف لما اصاب هاربرت».

بعد أيام، كان الثلاثة قد برعوا في تضميد جرح هاربرت، واستنفذوا لذلك كل القماش المتوفر، وغير مرة ردد سبيليت نقلا عن الاطباء ان «الضماد الجيد خير من العملية الجراحية الناجحة». وفعلا، تقدم هاربرت في نقاهته، بانتظار نقله الى قصر الصوان الاكثر أمنا وأمانا وراحة.

قال سميث: بعد كم من الوقت تعتقد أننا يمكننا ان ننقله؟

قال سبيليت: يصعب التكهن، فنقاهته مستمرة جيدا. ربما بعد ثمانية أيام.

ثمانية أيام، أي لن تكون العودة الا في الايام الاولى من كانون الاول. وكان سبيليت خرج مرتين يتفقد الطريق حول الزريبة، مسلحا متأهبا، يرافقه (توب). والمرة الأخيرة كانت يوم٢٧ تشرين الثاني، حين توغل جنوبا نحو ربع ميل، ولاحظ ان (توب) يشم شيئا، فلحقه

وحـرضه على التفتيش متأهبا، إصبعه على الزناد، مختبئا وراء الشجر الكثيف. وبعد خمس دقائق، قفز الكلب فجأة الى دغل، وعاد منه وفي شدقـه قطعـة قماش ملطخة ممزقة، حملها سبيليت فورا الى الزريبة. تعرف الجميع اليها: انها قطعة من سترة آرتون، وهي من ذلك اللبد الذي صنعوه قماشا في قصر الصوان.

قال سميث: أترى، بنكروف؟ لقد قاوم.

قال بنكروف: اذن، أخذوه حيا. وربما مايزال حيا.

قال سميث: نأمل ذلك.

واذا لم يقتله القراصنة، هل يكون أسيرهم؟ وهل يمكن أن يكون أحد تعرف فيه الى بن جويس زعيم القراصنة الفارين؟ وهل يحاولون ان يستميلوه مجددا الى صفوفهم، وهم يحتاجونه خائنا مثلهم؟

في السـابعـة صبـاح اليوم التـالي (٢٩ تشرين الثاني) كان الثلاثة يتحـدثـون قرب سرير هاربـرت فسمعـوا نبـاح توب. هرع سميث وبنكـروف مسلحين، وتبعا توب حتى أسفل الزريبة، ينبح عن فرح لاعن ذعر أو غضب.

ـ هل وصل أحد؟

ـ ربما.

أيكون ناب؟

ـ أو آرتون.

ومـاهي إلا لحظات حتى قفز من فوق الزريبة جسم هائل وقع في باحتها. انه (جوب)، لاقاه (توب) فرحا.

قال سبيليت: ربما ناب أرسله.

قال سميث: اذن لابد أن في عنقه رسالة لنا.

وفعلا، كان في عنقه كيس صغير يحوي بطاقة بخط ناب، قرأها سميث: «القراصنة باتوا في حقل قصر الصوان ـ ناب». ووقع الجميع

في خيبة وذهول. تبادلوا النظرات الصامتة ودخلوا الى الزريبة. انها كارثة حقيقة.

فتح هاربرت عينيه فرأى (جوب)، وفهم أن الامر نكبة، فقال:

ـ سيد سميث، اريد ان اذهب. يمكنني احتمال الطريق. اريد ان اذهب.

تقدم سبيليت من هاربرت، تفحصه وقال: «هلموا بنا». وجيء بالعربة فوضعوه فيها، وفي السابعة والنصف صباحا خرجوا ببطء وحذر، يتقدمهم توب وجوب. ولم تمض ساعة حتى كانوا قد قطعوا أربعة اميال من اصل خمسة، فأطلوا من بين الاشجار على الافق البعيد. فجأة، توقف بنكروف عن دفع العربة، وقال بصوت راجف:

ـ العنة. انهم سفلة.

وأشار بيده الى دخان كثيف يتصاعد فوق فناء الدواجن، بين كثافته يتحرك ناب. ناداه رفاقه فهرع اليهم: كان القراصنة قد غادروا قبل نصف ساعة، بعدما أتلفوا الحقل. استفسر ناب عن هاربرت: كان فقد الوعي من جديد ولهف اليه رفاقه قلقين عليه اكثر مما على القراصنة والخطر المحدق بقصر الصوان وخراب الحقل. ترى، هل نقله بالعربة سبب له نزفا داخليا؟

بعد ١٠ دقائق، كان سميث وسبيليت وبنكروف عند أسفل الجدار، تاركين لناب اعادة العربة، وتسلقوا الى القصر، حيث مددوا هاربرت على سريره. تفحص سبيليت له جراحه فوجدها سليمة. ولكن، لم هذا الخور؟ لازم سبيليت وبنكروف سرير الفتى الذي أخذته حمى شديدة، فيما راح (ناب) يروي لسيده ماجرى في الحقل.

ذلك ان القراصنة، في الليلة السابقة، ظهروا عند طرف الغابة، فهرع (ناب) يحتمي في قصر الصوان، ولاوسيلة أمامه لاشعار رفاقه الا جوب. لم يتمكن القراصنة من بلوغ القصر، ووجدوا الحقل المنبسط

مكشوفا أمامهم. وإذ لم يكونوا يعرفون كم عدد سكان الجزيرة، تيهأ لهم ان قصر الصوان محروس بفرقة كبيرة مسلحة، وعاثوا بالحقل فسادا وإحراقا. وبعد مغادرتهم - قبل نصف ساعة من وصول الجزيريين - خرج (ناب) الى الحقل يحاول إطفاء حريقه، حتى ناداه رفاقه.

ذهب (سميث)، برفقه (ناب)، يتفقد الحقل المحروق، فإذا كل ما فيه متلف، والدواجن تدور مذعورة في أرجائه. يجب العمل عليه من جديد. بدا على (سميث) شحوب غضب شديد كتمه خلف صمته. ثم ألقى نظرة اخيرة على المكان، قبل ان يعود الى قصر الصوان حيث ألفى هاربرت متصاعد الحمى.

قال سبيليت: يلزمنا الكنكينا دافع للحمى ضروري.

قال سميث: دافع للحمى؟ كيف، وليس عندنا شيء من الكنكيبنا ولا من سلفات الكينا.

مر الليل بين قلق الجميع وهذيان هاربرت الضائع تماما عن الوعي. وما أخاف سبيليت اكثر، ان كبد هاربرت بدأ يحتقن وهذيانه يزداد، مما ينذر بخلل ربما أصاب عقله. فانتحى بسميث:

- انها حمى خبيثة. قد يحتمل نوبة ثانية بعد. اما الثالثة، فستودي به.

- أكيد؟؟

- طبعا. تلزمنا الكينا بأي شكل.

من حسن حظ بنكروف انه لم يسمع كلمة من كل هذا الحوار، والا لكان جن جنونه.

في منتصف نهار ٧ كانون الاول، جاءت النوبة الثالثة وكانت رهيبة مد هاربرت يديه مذعورا الى سبيليت وسميث وبنكروف. كان خائفا من أن يموت. ووجب، ازاء هذا المشهد المؤثر، ابعاد بنكروف في ذلك الليل الحالك. بدا هاربرت، في هذيانه، يصارع القراصنة وينادي

آرتون بالحاح ثم سقط في غيبوبة تامة.

الثامن من كانون الاول كان كذلك قاسيا. وراح هاربرت يمسك شراشف السرير، بأصابع مذعورة. قال سبيليت:

ـ اذا لم ننقذه قبل صباح الغد، بطارد الحمى، فسوف نفقده.

هبط الليل على الفتى الذي كان يقلق الجميع، ولاحيلة لهم مادام ليس على الجـزيرة الدواء الشافي المطلوب. ونحو الثالثة فجرا، أطلق هاربرت صرخة ذعر هائلة، فهرع (ناب) الى حيث كان رفاقه ساهرين، فيما كان (توب) ينبح بشدة. حاول هاربرت الوثوب من سريره مهدّأه رفاقه. ومع الخامسة فجرا، بدأ النهار صافيا، وخيل للجميع انه آخر نهار يعيشه هاربرت. ثم تسللت أشعة الشمس الى الغرفة، وخاصة الى الطاولة التي حانت من بنكروف التفاتة اليها، فصرخ وهو يشير الى علبة عليها، مستطيلة مكتوب على غطائها: «سلفات الكينا».

أخـذهـا سبيليت وفتحهـا فاذا فيهـا نحو ٢٠٠ حبة من المسحوق الابيض، حمل منه الى شفتيه فتمرمرتها وتأكد من أن هذا هو المطلوب . فقال:

ـ جيئـوني بالنقع (سائل غالٍ يوضع فيه نبات عطري او طبي ثم يصفى ويشرب).

بعـد لحظات، كان (ناب) يحمل قصعة الماء الساخن، رمى فيها سبيليت نحـو ١٠ غرامـات من الكينـا، وتعاون مع رفاقه على جعل هاربرت يشرب منها.

لم تمر ساعات قليلة حتى بدأ هاربرت يستريح ويهدأ، مما أتاح لرفاقه التحدث بأمر الحدث. إن وجود الشخص الغريب المجهول يتأكد أكثر فأكثر. ولكن، كيف تمكن من دخول قصر الصوان ليلا لوضع علبتهِ؟

ظل رفاق هاربرت يتناوبون كل ثلاث ساعات على إعطائه الكينا، وهو يتحسن تدريجيا، حتى إنتعشبوا في اليوم التالي بأمل كبير في شفائه

. وبعد عشرة ايام (٢٠ كانون الاول) دخل هاربرت في طور النقاهة، ولكنه كان موهنا جدا، فخضع لحمية خاصة، منصاعا طائعا لرغبته في الشفاء العاجل. وما حلت نهاية كانون الثاني، حتى كان هاربرت يتجول في الحقل وعلى الشاطىء، مفيدا من حمامات بحرية مع بنكروف وناب.

عندئذ، بات ممكنا لسميث تحديد موعد الانطلاق، فقرره يوم ١٥ شباط لتحقيق هدفين: القضاء على القراصنة لايجاد آرتون، إذا مازال حيا، واكتشاف هذا المحسن المجهول.

تم تجهيز العربة بالمؤونة والذخيرة اللازمتين، وتقرر ألا يبقى أحد في قصر الصوان الذي اتخذ (سميث) جميع الاحتياطات لجعله في مأمن من كل هجوم، فطمرَ حبال الارتقاء اليه، في مكان من الرمل يسهل ايجادها عند العودة.

قال سبيليت: الطقس اليوم حار جدا.

قال بنكروف: نمشي في ظلال الاشجار.

قال سميث: هيا بنا.

وانطلقوا.. فعبروا، بعد ميل، الضفة اليسرى من مطل الشكران، ثم انحرفوا يسارا ليتوغلوا في الغابة الكثيفة التي تشكل منطقة «الغرب البعيد». وفي غير مكان، لاحظوا مرورا سابقا لعدد من الرجال: كسورا في أغصان الاشجار، ربما لشق الطريق، آثار رماد لنار كانت مشتعلة وآثار خطى على الارض.

مساء ذاك اليوم الاول، خيم الجزيرون على نحو تسعة اميال من قصر الصوان، عند ضفة رافد صغير لم يكونوا اكتشفوه قبل. نظموا الحراسة والمراقبة، الا هاربرت ا..ي، على الرغم من الحاحه، أعفي فيما تناوب الاربعة تباعا. ومر الليل كله هادئا، وفي اليوم التالي (١٦ شباط) عادوا الى السير البطيء والحذر. فلم يجتازوا الا ستة اميال فقط، لأنهم

اضطروا مرات عديدة الى شق طريقهم بالفؤوس بين الاشجار الكثيفة. حيث مازالت بقايا من آثار مرور القراصنة. وعند رماد نار بدت مطفأة منذ وقت قليل، توقفوا أمام آثار لافتة، قاسوها فوجدوها أقدام خمسة رجال فقط.

قال هاربرت: اذن، آرتون ليس معهم.

قال بنكروف: كلا. ربما قتلوه. ولكن، أليس لهم حجر نلقاهم فنقتلهم فيه؟ أتعرف، يا سيد، سميث، نوع الرصاصة التي في بندقيتي الآن؟

قال سميث: ماهو؟

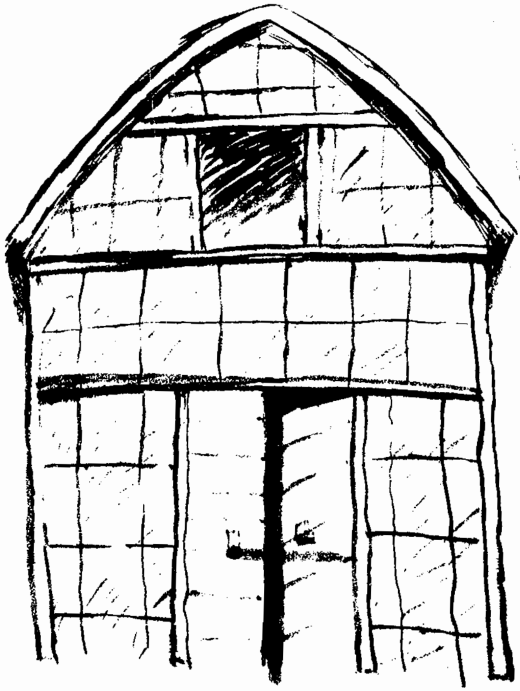
قال بنكروف: الرصاصة نفسها التي اخترقت صدر هاربرت، وأعدك أن هذه لن تخطىء هدفها. ليلتئذ خيمو على أربعة عشر ميلا من قصر الصوان. وقدر (سميث) أن لم يعد امامهم الا خمسة أميال عن المكان المقصود: شناخ الزحاف وفعلا، في اليوم التالي بلغوا طرف الجزيرة. ولم يجدوا على الشاطىء الغربي أي أثر.

قال بنكروف: إذن، سيد سميث، توا الى الزريبة.

قال سميث: كلا ياصديقي. أنسيت أننا سنقصد غابات «الغرب البعيدة» بحثا عن أحد هناك؟ وهل نسيت أن لجولتنا هدفين لا واحدا؟ علينا معاقبة الجريمة، ولكن أيضا الاعتراف بالفضل.

قال بنكروف: شعوري أننا لن نجد هذا الغريب المجهول الا متى هو اراد.

في اليوم التالي، ١٨ شباط، غادر الجزيريون الساحل وتوغلوا على مجرى الساقية من ضفتها اليسرى، عند ستة اميال من جبل فرنكلين. وكان مشروع المهندس: التصعيد في وادي الساقية كله، وبلوغ ضواحي الزريبة بكل حذر وتيقظ. وأخذوا يصعدون بين جانبي الشاهق الكبير، في درب وعرة، لم يكن فيها أي أثر لمرور سابق. ونحو الخامسة



مساء، توقفوا ، على نحو ستمئة خطوة من الزريبة، يحميهم ستار من الاشجار نصف دائري .

كان سبيليت متلهفا الى التقدم من الزريبة، وعرض (بنكروف) أن يرافقه، فاعترض سميث :

ـ لا يارفيقي . انتظرا الليل . لن أرضي أن يغامر أحدكما نهارا .

وظلوا جميعهم ، متيقظين بحذر شديد، حتى اذا أعلنت الساعة الثامنة، أعلن سبيليت استعداده للمسير، وكذلك بنكروف، فوافق سميث قائلا :

ـ كونا حذرين. ليس عليكما ولوج الزريبة، بل التأكد اذا كانت مسكونة أم لا .

وانطلقا، في طريق مظلم لاينكشف لهما أكثر من خطوات أمامهما، ويتقدمان بحذر شديد، متوقفين لأقل حركة يسمعانها. وماهي الا

دقائق حتى بلغا باب الزريبة. حاول بنكروف دفعه، ولاحظ سبيليت أن عوارضه الخارجية مرفوعة، فأرهفا السمع: لا حركة. مع هذا، رأى سبيليت انتظار أن يكونوا جميعهم معا حتى يدخلوا، فالاكيد ان الزريبة ليست مخفورة.

بعد دقائق، كان سميث على علم بما جرى.

قال سميث: إذن، يبدو لي ان القراصنة ليسوا في الزريبة.

قال بنكروف: نتأكد من ذلك حين نتقدم اليها.

قال سميث: هيا اليها.

وأخذوا يتقدمون في ليل مظلم جدا وصمت شامل، لأن العشب كان يمتص حركة الاقدام. ووصلوا إلى الزريبة، من دون ان يلاحظوا حركة، فدخل الخمسة حرم الزريبة، وفيما بقي (ناب) مع العربة، توجه الاربعة الى الباب، فاذا أحد مصراعيه مفتوح..

قال سميث: ولكن.. كيف قلتما لي ان..

قال بنكروف: هه!! أقسم لك ان هذا الباب كان مغلقا.

وبقي الثلاثة مذهولين، فيما تقدم هاربرت خطوات أبعد منهم، وعاد يمسك بيد سميث:

قال سميث: مابك؟

قال هاربرت: نور

قال سميث: اين؟ في الداخل؟

قال هاربرت: نعم، في البيت.

وفي لحظات عجلى، كان الجميع قرب النور، ينظرون من خارج النافذة. وتركز نظر سميث على الداخل، فرأى في هذه الغرفة الوحيدة فانوسا مضاء على الطاولة، وقرب هذه سرير آرتون، وفي السرير جسد رجل مستلق. وتراجع سميث مدهوشا متمتما: «آرتون..» دفع الخمسة

الباب ودخلوا. كان فعلا آرتون، ويبدو نائما، على وجهه اثار تعب شديد وآثار تعذيب. انحنى عليه سميث وناداه هازا يده، ففتح هذا عينيه وتفرس في وجه سميث ثم وجه الآخرين:

قال آرتون: أنت؟؟ أنتم؟؟؟

قال سميث: آرتون.. آرتون..

قال آرتون: أين أنا؟

قال سميث: أنت في الزريبة.

قال آرتون: ولكن.. حاذروا.. سيأتون الى هنا. انتبهوا. تهيأوا.

وغاب آرتون عن الوعي من شدة الارهاق.

قال سميث: سبيليت، أدخل العربة الى الزريبة. وأحكم اغلاق الباب، وتعالوا جميعكم الى هنا.

وفجأة، نبح (توب) بحدة وهياج، فيما توجه الى عمق الزريبة، فصاح سميث:

- انتبهوا.. هيئوا..

ولم يكمل حتى كانت البنادق على الاكتاف والوجنات بانتظار ثانية إطلاق النار، فيما (توب) يستمر نابحا و (جوب) يحمحم الى جانبه. تقدم الخمسة، متأهبين، حتى بلغوا طرف الساقية الذي تظلله أشجار كثيفة. وعلى ضوء القمر، وجدوا.. جثث القراصنة الخمسة ملقاة على الارض.

ماالذي جرى؟؟

من قتل القراصنة ورفع الخطر عن الجزيريين؟؟

في اليوم التالي، روى (آرتون) في بعض اختصار ماجرى له: فغداة وصوله الى الزريبة، ومع هبوط الليل، فاجأه القراصنة داخلها وكبلوه وانهالوا عليه ضربا، ثم اقتادوه الى كهف مظلم عند أسفل فرنكلين،

حيث كان ملجأهم. وقررا قتله، لكن أحدهم عرفه وناداه بالاسم الذي كان معروفا به في اوستراليا. وبعدما كانوا سيقتلون آرتون، احترموا (بن جويس). ومـن يومهـا، وقـع في صراع معهم: أرادوه ينضم اليهم ويعتمـدون عليه ليستولوا على كل الجزيرة، بعدما يقتلون الجزيريين. لكنه صمد وقاوم، مفضلا الموت على خيانة رفاقه بعدما تاب اليهم ووثقوا به.

وهكذا، أمضى (آرتون) في ذلك الكهف، محروسا مضروبا مهانا، سحابة أربعة أشهر. وكانت آثار ذلك ما تزال بادية على يديه وقدميه، حيث كانت موثقة بقسوة. وكان في كل لحظة يتوقع موته الذي لم يكن على أمل بالنجاة منه. واخيرا، فقد الوعي فلم يعد يرى ولا يسمع.

قال آرتون: ولكن، ياسيد سميث، مادمت انني كنت سجينا في ذلك الكهف، كيف جيء بي الى هنا؟

قال سميث: وكيف تم قتل القراصنة هنا خارج الزريبة؟

قال آرتون: القراصنة ماتوا ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

وهب آرتـون جالسـا على الـرغم من وهنـه، فسـاعده رفاقه على النهوض، وتوجهوا جميعا الى الساقية. على اشارة من سميث، تفحص ناب وبنكروف الجثث، فلم يبد فيها اثر لجراح، الا نقطة حمراء من كدمة على جبين واحد، وصدر ثان، وظهر ثالث وكتف رابع.

قال سميث: هكذا تلقوا ضربتهم.

قال سبيليت: ولكن، بأي سلاح؟

قال سميث: بسلاح صاعق لم نكتشفه بعد.

قال بنكروف: وبيد من؟

قال سميث: بيد قاضي الجزيرة العادل، الذي حمل (آرتون) الى هنا، والذي فعل لنا ما لم يكن لنا نحن ان نفعله لانفسنا، ومع هذا ما يزال يتخفى عنا.

قال بنكروف: فلنسر الى اكتشافه.
قال سميث: هلموا.
قال بنكروف: لاننس باننا سننتقل الى جزيرة تابور، ويجب علينا ان نترك فيها اشارة الى اننا هنا، في حال عودة اليخت السكوتلندي.
قال آرتون: ولكن، يابنكروف، كيف تفكر ان القيام بهذا الانتقال ممكن؟
قال بنكروف: انسيت «المغامرة»؟
قال آرتون: «المغامرة» لم تعد موجودة.
قال بنكروف: ماذا ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟
قال آرتون: كلا. ركبها القراصنة متوجهين فيها الى البحر، فتحطمت بهم على الصخور.
قال بنكروف: سفلة.. مجرمون...

طبعا كان تحطم السفينة قاسيا على الجزيريين، وتم قرارهم على تعويض فقدانها في اقرب وقت. وبانتظار ذلك، راحوا يكملون تمشيط الجزيرة.

توجهوا صوب الناحية الشمالية وفتشوها مليا، زاوية زاوية صخرا وصخره وفجوة فجوة. لم يجدوا اي اثر.

في الخامس والعشرين من شباط، عاد الجزيريون الى قصر الصوان، معيدين الاتصال بينه وبين الارض.

وفي الخامس والعشرين من آذار، كانوا يحتفلون معا بالذكرى الثالثة لوجودهم على جزيرة لنكولن.



كم من مرة، في غضون تلك السنوات الثلاث، تحدثوا عن الوطن، الذي بقي ماثلا في بالهم.

بفقدان «المغامرة»، يلزمهم في الاقل ستة أشهر أخرى لبناء غيرها. لكن الشتاء يقترب ولايمكن القيام بتلك الرحلة الا في الربيع المقبل. لذا انصرف (سميث) الى وضع تصميم السفينة الجديدة، فيما انصرف رفاقه الى جمع الأشجار والجذوع اللازمة ليهكلها، من غابات «الغرب البعيد». وأفادوا من الممر الذي اجتازوه في مرورهم السابق، ليشقوا طريقهم الى هناك. وكانوا قد وصلوا السلك المقطوع بين الزريبة وقصر الصوان، مما كان يتيح للبعض أن يمضي ليلته في الزريبة، فيشعر رفاقه هناك حتى لايقلقوا عليه، علما بأن الجزيرة عادت الآن في أمان وسلام.

في الخامس عشر من أيار، بدأوا بالتنفيذ، في هيكل طول ١١٠ أقدام، بعرض ٢٥. ولم يتمكنوا من التقدم أكثر بسبب هجوم الطقس

البارد وأمطاره وعواصفه. ومرت أشهر الشتاء الثلاثة (حزيران، تموز، آب) قاسية، لكن حدثا صادف في أوائل الربيع، بدا لافتا للنظر. ففي السابع من ايلول، لمح (سميث) على قمة جبل فرنكلين دخانا يتصاعد. هل يكون البركان يهم بالانفجار؟ وهل ينفجر بقوة فيطيح بهم؟ هذه كارثة لايمكن تجنبها ولا النجاة منها.

ومنذ ذلك اليوم، لم ينقطع الدخان عن تلك القمة، بل أخذ يزداد كثافة وعرضا، من دون أن تبدو في داخله ألسنة نار. وفي آخر ايلول، أخذ هيكل السفينة يتكامل أكثر، ويبشر بإمكان احتماله رحلة طويلة. واختصار للوقت، لم يكن الستة يتناولون الطعام الا مرة واحدة في النهار، حين يعوزهم ضوء النهار، فيصعدون الى القصر ليناموا.

وذات مساء، في ١٥ تشرين الأول، امتد حديثهم حتى التاسعة ليلا، بعد نهار عمل شاق. وكان بنكروف متوجها الى سريره، حين رن الجرس الكهربائي، ففوجىء الجميع: كلهم هنا، فمن في الزريبة؟؟؟

نهض سميث قلقا، والباقون يتبادلون النظرات المستغربة، فتوجه الى الجهاز وأرسل الى الزريبة البرقية التالية:

ـ نعم؟ المطلوب؟

وماهي إلا ثوان حتى كانت الابرة تشير للأحرف الابجدية بالعبارة التالية:

ـ التوجه فورا الى الزريبة.

فصرخ سميث: «أخيرا.. سنجده».

ونسي الستة تعبهم، وغادروا قصر الصوان، حيث بقي توب وجوب، وراحوا يمشون صوب الزريبة، التأثر يسبقهم واللهفة تتقدمهم. في التاسعة والربع، لمحوا الزريبة، على ضوء التماع برق. أعقبه رعود، وانهمر المطر تدريجيا. أسرعوا حتى الباب فطرقه سميث. لاجواب. فتحه المهندس ودخل يتبعه رفاقه الى الغرفة المظلمة. أشعل ناب عود

ثقاب ، وأضاء الفانوس. الغرفة خالية. صاح هاربرت: «هذه ورقة».
وهرع الى الطاولة يأخذ الورقة ويقرأ: «اتبعوا السلك الجديد».

خرج المهندس الى اول عمود فرأى، على ضوء الفانوس وطورا على ضوء البرق.

في العاشرة الا دقائق، بلغوا طرف المحيط من الغرب. وكان الهواء قد هب، فراحوا يسمعون ارتطام الامواج بالصخور تحتهم على نحو خمسمئة قدم. وهناك، بدأ السلك يتغلغل بين الصخور في منحدر خطر. توغل الجزيريون مخاطرين بحياتهم، في السير على صخور صغيرة غير ثابتة، وقد تتدحرج بهم في أية لحظة الى مهاوي البحر تحتهم.

ومازالوا كذلك حتى وصلوا في انحدارهم الى الحد الأسفل من الجدار حيث ممر يحاذي البحر، مايزال السلك يجري فيه، فتبعوه. وبعد نحو مئة خطوة، بلغوا مستوى الامواج. أمسك المهندس بالسلك وشده فوجده يستمر في البحر. وعندها بدرت من رفاقه صرخة خيبة ويأس. لكن سميث بادرهم:

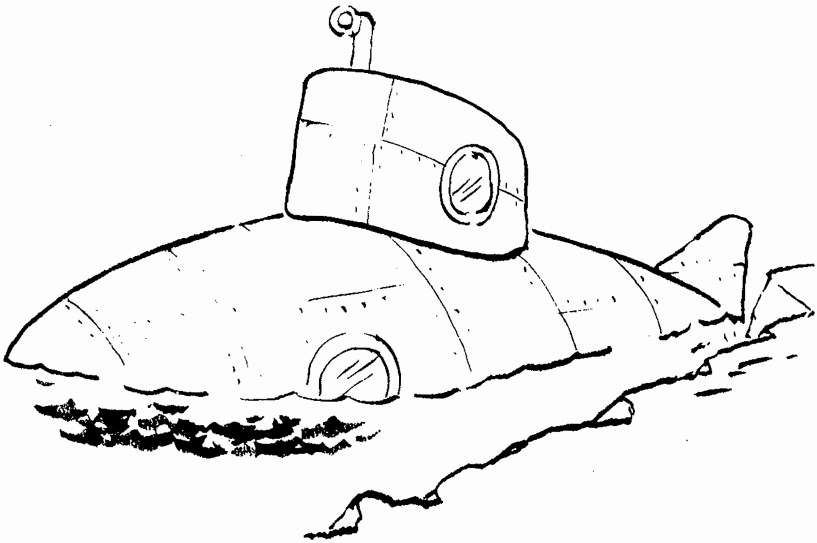
- مهلا. لاتتسرعوا. البحر الآن في المد. ربما مع الجزر نتبين الطريق

وعند منتصف الليل، حمل سميث الفانوس ونزل عن الرمل حتى يتفحص الصخور، بعد ساعتين من الجزر. ولم يكن مخطئا، اذ بدأت تظهر عليه فتحة بين الصخور. عاد الى رفاقه:

قال بنكروف: وهل وجدتها؟

قال سميث: أتشك في ذلك؟

بعد نحو ساعة، نزل الجميع تحت المطر الى مستوى البحر. بلغوا الفتحة، فانحنى المهندس ووجد جسما أسود سابحا على صفحة المياه. سحبه اليه. كان قاربا من صفيحة حديدية مربوطا بحبل، وتحت مقعديه مجذافان. قال سميث: «هلموا اليه. هذه علامة لنا».



وركبوه، حتى اذا قطعوا نحو نصف ميل، صاح سميث: «هنا. قفوا». والتفتوا فرأوا نورا قويا في تجويفة هائلة ، وأمامه كما في بحيرة، جسم يسبح على صفحة الماء، ينبعث منه نور قوي كما من فوهتي تنور، وهو يشبه حوتا هائلا، طوله نحو ٢٥٠ قدما وارتفاعه نحو عشرة أقدام عن سطح الماء. اقترب منه القارب، حيث وقف (سميث) عند مقدمته، يتفرس جيدا، الى ان أمسك بيد سبيليت صارخا: «هذا هو. لايمكن الا أن يكون هو». واستسلم على مقعده متمتما اسما لم يسمعه الا سبيليت.

بلغ القارب تلك السفينة الكبيرة، فصعد سميث ورفاقه الى متنها، وبلغوا بابا فتحوه فافضى الى غرفة مزدانة، اجتازوها الى مكتبة عليها مصباح قوي، وفي عمقها باب مقفل، فتحه المهندس كذلك، فأطلوا على بهـو كبير فيه تحف طبيعية وفنية ظن الستة معها انهم في متحف عالمي أو في حلم. و. . اذا بهم أمام ديوان كبير يستلقي عليه رجل لم يبد أنه شعر بوجودهم.

فجأة، صرخ سميث وسط دهش رفاقه:

ـ قبطان نيمو، أنتَ استدعيتنا؟ ها نحن جئنا.

لدى سماع هذه الكلمة، تحرك الرجل المستلقي وبدا وجهه: رأس كبـير، جبين عال، نظرة عنفوانية، لحية بيضاء، شعر كثيف مرتد الى الوراء. استند بمرفقه واتجه صوبهم، فبدا إعياء شديد عليه من مرض بطيء، لكن صوته كان جهوريا وقويا حين قال بالانكليزية وفي بعض تعجب لسميث:

ـ وهل تعرف اسمي ياهذا؟

ـ أعرفه، كما أعرف اسم هذه الغواصة الهائلة.

ـ «القوقعة».

وبإشارة منه، دعا سميث ورفاقه الى الجلوس. ث م أضاف لسميث:

ـ ومن ذا خان سري؟

ـ رجل لم يضمر لك السؤ يوما.

أيكـون ذاك الفرنسي الذي رماه القدر على متن غواصتي قبل ستة عشر عاما؟؟

ـ نعم. إنه هو.

ـ يعني انه، يومئذ، لم يغرق مع رفيقيه حين دخلت الغواصة في تلك الدوامة البحرية؟؟

ـ كلا. لم يموتوا. وقد ظهر كتاب يروي قصتك الكاملة، بعنوان: «٢٠ ألف فرسخ تحت البحر».

ـ قصتي في تلك الأشهر القليلة.

ـ صحيح، قليلة، انها كافية للتعرف بك في سيرتك العجيبة.

ـ التعريف بي كمذنب؟

ـ ليس لي أنا أدينك أيها القبطان نيمو، خاصة في ما يتعلق بحياتك الماضية. كل ما أعرفه، أن يدا كريمة مسحتنا منذ وصولنا الى جزيرة لنكولن، بسخائها وفضلها، هي يدك أنت، سيدي القبطان.

ـ نعم. صحيح.

وتقدم الستة من القبطان، وتم التعارف في تأثر شديد. ثم راح يروي لهم، في إيجاز واضح، كل سيرته.

انه هندي، اسمه الأمير داكار، ابن حاكم بولدينخوند، أرسله والده الماهاراجا الى اوربا حين بلغ العاشرة ليكمل تحصيله. ومن العاشرة الى الثلاثين، تلقى الأمير الذكي جدا كل ما امامه من معارف، مكملا حتى الدروس العليا المتخصصة، رافضا الذهاب الى بلد وحيد لم يكن يرضى الاختلاف اليه: انكلترا. ذلك ان النير الانكليزي كان أرهق الهند بقسوة، وأخذ الامير داكار موقفا منهم، فزرع في شعبه حقدا كثيرا على هؤلاء الانكليز، وعلى غريب ظالم. وعام ١٨٥٧، اندلعت الثورة بقيادة الامير داكار، يذكيها ويغذيها، ويضع مواهبه في سبيلها وثروته. وقد قاتل مع الثوار في الصفوف الأولى، وجرح عشر مرات في عشرين هجوما ونجا من الموت بأعجوبة، فيما كان آخر الثوار يسقطون تحت رصاص الانكليز. فانسحب الامير الى الجبال الوعرة في بونديلخوند، وحيدا، قرفا من البشر، فجمع ماتبقى له من مال ورجال بلغوا نحو عشرين، وتقدمهم ذات يوم، واختفوا جميعا.

الى أين توجه الامير الذي كان يرفض أرض كل بشر؟ تحت المياه، في قعر المحيطات، حيث لايمكن أحد أن يبلغ. وتحول الامير من ثائر مقاتل الى رجل علم. وكانت جزيرة نائية في المحيط الباسيفيكي (الهادىء) ساحة اختباراته، حيث تم صنع غواصة من تصميمه، باستعمال الطاقة الكهربائية التي كان خبيرا بها. وسمى غواصته «القوقعة»، وسمى نفسه «القبطان نيمو»، وغاص تحت البحار. وفي سنوات عديدة، زار جميع المحيطات من القطب الى القطب الآخر. وإذ كان منبوذا من كل العالم البشري، لملم من ذاك العالم المجهول تحت الماء جواهر وتحفا غالية. وراح رفاقه يموتون تدريجيا، فيدفنهم في قعر المحيط، الى ان قضوا جميعهم وبقي القبطان وحده، وكان له من من العمر ستون عاما، فأرسى غواصته عند احد المرافىء التي اعتادها سابقا، وهو محفور تحت جزيرة لنكولن، حيث بقيت «القوقعة» مستريحة.

هكذا، جاء القبطان هذا المكان منذ ست سنوات، ينتظر الموت. وذات يوم، هبط المنطاد الذي يقل الفارين من أسر الجنوبيين، فيما كان القبطان - لابسا ثياب الغطس - يتنزه تحت الماء، على قلوس قليلة من شاطىء الجزيرة. وغاص المهندس في البحر، فأنقذه القبطان. وقد حاول في البدء ان يتهرب من هؤلاء الخمسة الوافدين. لكن الغواصة لم تعد تستطيع الخروج من الفتحة، بعدما تراكمت على محيط الفتحة عوارض وعوامل طبيعية بركانية ضيقت فرجتها. فاضطر القبطان أن يبقى، وراح يتتبع تحركات الخمسة المعزولين في هذه الجزيرة المعزولة، ويأنس تدريجيا الى صنيعهم وسيرتهم. وبفضل ثياب الغطس، كان يمكنه، بكل سهولة، أن يصل الى البئر السفلى تحت قصر الصوان، ويتسلق في الفوهة فيصغي الى حكايات الخمسة عن ماضيهم، والى تصوراتهم للحاضر والمستقبل. وقدر انهم جديريون بمصالحته مع البشرية التي كان قد قاطعها.



هكذا، بعدما أنقذ (سايروس سميث)، أعاد الكلب الى الكهف، ثم قذف الكلب مرة من تحت مياه البحيرة. وهو الذي زرع ذلك الصندوق بكامل عدته على الرمل، وهو الذي أعاد القارب الى مجرى الشكران، والذي رمى الحبل من أعلى قصر الصوان بعد المعركة مع القردة، والذي سهل طريق إيجاد (آرتون) على جزيرة تابور، وهو الذي نسف سفينة القراصنة بالطربيد، والذي أنقذ هاربرت من موت محتم إذ حمل الى القصر سلفات الكينا، وهو الذي، أخيرا، أطلق رصاصاته الكهربائية القاتلة على القراصنة فارادهم. وكانت يستعمل تلك الرصاصات الخاصة، التي وحده يعرف سرها، في صيد تحت البحر.

هكذا اذن، يظهر تفسير الكثير من الاحداث التي بقيت غامضة حتى الآن.

وهكذا بدا أن كاره المجتمع ذاك، له حاجة قصوى الى عمل الخير. وقد بقي له غير نصيحة يسديها لمحميه. لذا، حين شعر بدنو أجله، استدعى الجزيريين بواسطة سلك كهربائي مده من الزريبة الى الغواصة، حيث كان عنده جهاز إبراق. ولربما لم يكن ليفعل ذلك، لو انه عرف ان بين الجزيريين المهندس سميث الذي سيكشف قصته، فقال للمهندس:

- الآن، ياسيد، وقد بت تعرف قصتي، احكم عليها أنت.

كان هاربرت قد اقترب من القبطان، فأخذ يده وقبلها، فيما انحدرت دمعة من عين المحتضر.

قال القبطان: فليحرسك الله يابني..

قال سبيليت: يبدو محتضرا..

قال بنكروف: ربما اذا نقلناه الى الهواء والشمس، ينتعش ويتحسن.

قال المهندس: كلا، لاتحاولوا. لن يرضى القبطان ان يترك فناءه. منذ ثلاثين سنة، وهو يعيش في هذه الغواصة، وفي هذهِ الغواصة يريد أن يموت.

حتما سمع القبطان، وقد انهار على الديوان، جواب سميث، لانه انتعش قليلا فتحرك، وقال بصوت واهن جدا انما مفهوم:

- معك حق، ياسيد. يجب أن أموت هنا. أريد ذلك. ولي، أيضا، طلب عندكم. غدا، بعد موتي، تغادر السفينة أنت ورفاقك، لأن جميع هذه التحف في الغواصة يجب أن تغيب معي. ذكر واحد يبقى لكم من الأمير داكار الذي يتم الآن تعرفون قصته: هذا الصندوق، وهو يحتوي على حلي وجواهر بالملايين، جمعتها أنا ورفاقي من أعماق البحار. بهذه الثروة، يمكنكم ان تحققوا في مابعد شؤونا كثيرة. فالثروة

في يديك، ياسيد سميث، وفي أيدي رفاقك، لاتضيع . وأموت مطمئنا الى انكم ستضاعفونها .

وبعد لحظات استراحة من الكلام، أكمل القبطان :

ـ غدا تأخذون هذا الصندوق، وتصعدون الى سطح الغواصة وتقفلون الغطاء .

ـ سنفعل هذا أيها القبطان .

ـ جيد . وتعودون بالقارب الذي حملكم الى هنا . وانما قبل أن تغادروا «القوقعة»، اذهبوا الى الخلف ، وافتحو حنفيتين مركزتين على خط العوم، فتدخل المياه الى الخزانات، فتغرق الغواصة تدريجيا الى عمق المحيط حيث تهدأ الى الأبد. والآن . . يكفي كلاما عني . . يجب ان أحدثكم عنكم وعن جزيرة لنكولن . . هل تنوون مغادرتها؟

ـ اذا غادرناها ، فلكي نعود اليها .

ـ أعرف أنكم بتم تحبون هذه الجزيرة . تأقلتم معها وتحسون أنها لكم .

ـ مشروعنا أن نجعلها مفيدة للولايات المتحدة .

ـ أعرف أنكم تفكرون في بلادكم . معكم حق . الوطن الأول . . دائما يجب الرجوع اليه . والموت فيه وأنا أموت بعيدا عن أرضي وشعبي وأهلي وكل ماأحب ومن احب . سأنتهي هنا نوم أبدي، ا ذا . . .

وتردد قليلا ، ثم أردف :

ـ سيد سميث، هل اي أن أخاطبك وحدك؟

ـ انسحب رفاق المهندس، فاقترب هذا من القبطان وبقي معه دقائق منعزلا ، ثم نادى رفاقه من دون أن يخبرهم بشيء مما أسر به المحتظر اليه .

نحو الواحدة بعد منتصف الليل، تجمعت كل الحياة في عيني القبطان، والتمعت لحظة أخيرة منهما وتمتم : «الله . . الوطن . . »،

ولفظ نفسه الأخير. فانحنى سميث وأغمض عيني الذي كان (الامير داكار)، والآن لم يعد حتى القبطان (نيمو). أدمع هاربرت وبنكروف، ودمع آرتون دمعة هاربة، فيما ناب وسبيليت جاثيان. فرفع سميث يده فوق الميت وقال:

ـ ليتسلم الله روحه.. ياأصدقائي، فلنصل على روح هذه النفس العزيزة التي فقدناها.

بعد ساعات، كانت الستة يتممون وصية الغائب. فأقفلوا البهو الفخم، وأقفلوا الغطاء الأعلى على السطح، بإحكام كي لاتتسرب المياه الى غرف الغواصة، ثم انحدروا الى قاربهم الصغير وعادوا به الى الخلف حيث فتحوا الحنفيتين، وبدأت الغواصة تغرق تدريجيا حتى اختفت كلها تحت اللجة الهائلة، صوب عمق المحيط الرهيب.



- ٤ -

في ٣ كانون الثاني ١٨٦٩ ، خرج هاربرت الى الحقِل فلمح دخانا عاليا يتهاوج على أعلى قمة البركان، فأعلم رفاقه الذين هرعوا يتأملون المشهد. علق بنكروف:

- هذه المرة، المارد لايتنفس ، بل بدأ يدخن.

هز سميث برأسه فاهما مايجري ومقدرا خطورة انفجار البركان، الذي قد تصاحبه زلازل عنيفة، ويمكن جزيرة متفرقة العناصر، كجزيرة لنكولن، أن تزول نهائيا. أردف بنكروف:

- هذا دخان عابر. لنعد الى عملنا. ما لنا وللمارد الجبل. فليتثاب وليدخن وليتقيا نارا ودخانا ما حلا له. ما لنا وله؟ قبل شهرين يجب ان ننهيء «مغامرتنا» الجديدة. فلا نضيعن ساعة واحدة.

وعادوا يعملون بضغط طوال ذاك النهار، من دون اكتراث لفوهة البركان التي لم يكن ممكنا أن يروها من على رمل الشاطىء تحت قصر

الصوان. ولكن، مرتين، لاحظا ان ظل الدخان كان يحجب عنهم نور الشمس. وتحدث سميث وسبيليت عن هذه الظاهرة الطبيعية الخطرة. انهما لم يتوقف العمل.

كان من الضروري إنجاز السفينة، لأية فائدة لاحقة. فقد تكون يوما منجاتهم الوحيدة.

في الثامن من كانون الثاني، بعد نهار وليلة في الزريبة، عاد سميث وآرتون الى قصر الصوان، فجمع المهندس رفاقه بعد استراحة قصيرة، وقال لهم:

- ياأصدقائي، بكل رعشة أخبركم أن جزيرة لنكولن مقبلة في وقت قريب جدا على انفجار بركاني هائل، لن يمكن أية قوة إيقافه.

تبادل الجزيرون نظرات مذعورة، صامتين:

قال سبيليت: اشرح لنا أكثر.

قال سميث: اسمعوني جيدا. لاحظ القبطان نيمو، وأنا لاحظت أيضا في مغارته، ان مغارته تمتد تحت الجزيرة حتى البركان، الذي يتسرب اليها غازه المتفجر من ثقوب وفتحات تحت الماء. والحاصل ان هذه الثقوب والفتحات تتسع مع ازدياد الضغط، وجدار البازالت يذوب تدريجيا ولم يعد يمكنه أن يشكل جدارا عازلا، وبعد وقت قريب جدا ستتسرب منه مياه البحر.

قال بنكروف: عظيم. إذن، مياه البحر تطفىء البركان.

قال سميث: صحيح، بعدما يكون قد انتهى كل شيء، إذ يوم يطفح البحر على المكان، تكون الجزيرة قد انفجرت الى شظايا مبعثرة، تماما كما ستتشظى جزيرة صقلية اذا تسربت مياه البحر المتوسط الى إتنا.

وعادوا الى العمل بعدها بحمية أكثر واستعجال مذعور. في ٢٣ كانون الثاني كانت السفينة نصف منجزة الهيكل، من دون أن يحدُث أي تغيير في فوهة البركان. ولكن، منذ ليلة ٢٣/٢٤ كانون الثاني،

انفجر دوي هائل جعل الجزيريين يهرعون خارج قصر الصوان. كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وارتجت الارض ووقع على الجزيرة جزء هائل من الجبل، بين البركان والبحر.

وأخذت الفوهة تقذف حمما مضيئة أكبر فوصلت حرارتها الى كل الجزيرة، وراحت أمواج من الحمم تسقط شلالات على الصخور والضواحي أفاعي من نار وموت. صرخ آرتون:

ـ آه، لا، الزريبة.. الزريبة..

وفعلا، كانت تلك الحمم تتأفعن صوب الزريبة. فهرعوا الى الخارج كي يبلغوا الزريبة ويفلتوا منها الحيوانات. بلغوها في نحو الثالثة صباحا وسط حمحمه الحيوانات المذعورة، بعدما بدأت شظايا الصخور اللاهبة تحرق أطراف الزريبة. خلع (آرتون) الباب وفرت الحيوانات مذعورة في كل اتجاه. وفي أقل من ساعة كانت الحمم تغطي الزريبة وتحرق المكان كله حتى جعلته رمادا.

في نحو السابعة صباحا، توقف الجزيويون قرب البحيرة، فقال سميث شاعرا بالفداحة:

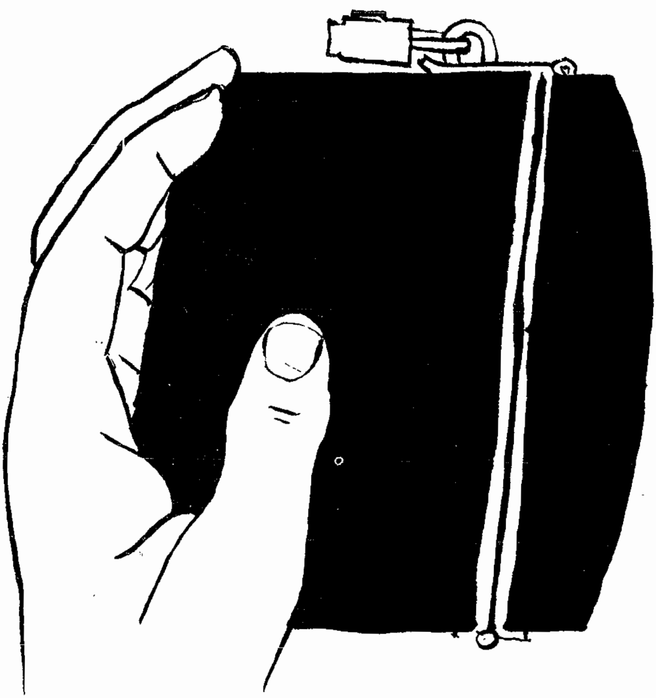
ـ إما أن تمتص هذه البحيرة دفق الحمم فتنقذ جزءا من الجزيرة، او يجتاح هياجها غابات «الغرب البعيدة» فلا تبقى شجرة أو عشبة على سطح الارض. وتنفجر الصخور عندها بالجزيرة وبنا.

قال بنكروف: يعني، لم يعد من فائدة لاكمال السفينة؟

قال سميث: بلى. نكمل ماعلينا، حتى اللحظة الاخيرة.

وقعت دفعات أولى من الحمم في البحيرة فتشكل صخورا أفسدت ماكان فيها من مياه عذبة.

ومن حسن حظ الجزيريين، ان الحمم توجهت الى البحيرة. يعني أن أمامهم، بعد، بضعة ايام من مهلة اضافية، اذ أن محيط قصر الصوان بقي سليما. وفي الاسابيع التي تلت، اشتغلوا على السفينة بجهد



عشرين رجلا. اشتغلوا ليلا ونهارا، لايرتاحون الا قليلا.

يوم ٢٨ شباط، كانوا على شهرين من التاريخ المتوقع لانجاز السفينة. فهل تمهلهم الجزيرة؟ وهل ينتهي الهيكل فقط قبل هذا التاريخ، ويكملونها في مابعد؟

يوم ٣ آذار، قرروا ان انطلاقهم يمكن ان يكون بعد عشرة ايام. عاد الى قلوبهم الامل. وركز بنكروف كل اهتمامه على انجاز السفينة.

قال بنكروف: سننهيها ياسيد سميث، سننهيها. هوذا الفصل الصاحي يقترب.

قال سميث: علينا ان نسرع، على أية حال.

بعد أيام من العمل المتواصل المضني، قال ناب:

ـ سيدي، لو كان القبطان (نيمو) مازال حيا، هل كان كل هذا قد حصل؟

ـ نعم.

همس بنكروف: «لاأظن»، فأجاب ناب هامسا: «وانا أيضا».

في الاسبوع الاول من آذار، عاد جبل فرنكلين يهدد الجزيرة. فالفوهة قذفت حمما جديدة الى كل النواحي، وامتد شلالها هذه المرة الى حقل قصر الصوان، وكان ذلك قاصما لآمال الجزيريين اندثر فناء الدواجن كليا. وفرت بعض الطيور منه يائسة مذعورة. وأخذ (توب) و (جوب) يحمحمان بغريزتهما التي كانت تدل على كارثة وشيكة. وبدأت شظايا الحمم تطفو على الجدار الصواني، وترسل شراراتها الحارقة.

انعزل الجزيريون الى ملجئهم الأخير: فعلى الرغم من ان الهيكل لم يتم انجازه الكامل بعد، قرروا ان ينزلوا السفينة الى المياه في صباح ٩ آذار. ولكن في ليلة ٨/٩ آذار حصل انفجار رهيب في فتحة البركان، قذفت منه شظايا حتى ثلاثة آلاف قدم في الفضاء، مما يشير الى أن جدران مغارة الامير داكار انهارات تحت ضغط الغاز، ودخل البحر بكل عنف ليطرد الغاز المحقون والمضغوط. وتشظى هذا الانفجار في كل مكان، حتى ليمكن سماع دويه عن مسافة مئة ميل. وانهارات صخور كبيرة في المحيط الهادىء، وفي دقائق قليلة، كانت جبال باكملها تغرق في المحيط، واذا بالمحيط يبتلعها كلها، ومعها يبتلع جزيرة لنكولن.

وحدها صخرة ـ معزولة، من ٣٠ قدما طولا و ١٥ عرضا و١٠ علوا ـ كانت المساحة الوحيدة التي ء لم يغمرها المحيط من كل التي كانت جزيرة لنكولن، فالتجأ اليها الستة والكلب، بعدما نفق جوب في هذا الزلزال الهائل. واذا كان الستة قد نجوا، فلانهم كانوا تحت خيمتهم وانقذفوا الى البحر معا فيما أجزاء الجزيرة تتشظى في كل مكان. وحين برزت الصخرة من تحت المياه، وحدها في المساحة الهائلة من المياه، سبحوا اليها ملتجئين.

على هذه الصخرة العارية، عاشوا تسعة أيام، على بقايا مؤونة حملوها معهم في الدقيقة الاخيرة، وبعض المياه العذبة تركها المطر في

ثغرة صخرة. وتحطمت سفينتهم، وكانت آخر لحظة لهم من الامل. وليس لديهم مايشعلون به نارا. وباتوا أمامهم موت محتم جوعا وعطشا على ظهر هذه الصخرة العارية. فاستقلوا عليها غير مهتمين، في يأسهم، بكل ما يجري حولهم. وحده (آرتون) بقوة متفوقة، بقي جالسا يتأمل حوله هذا البحر الواسع.

وفي صبيحة ٢٤ آذار، امتدت أصابع (آرتون) الى نقطة بعيدة في الافق، فصرخ:

- اليخت.

ووقع منهارا مغميا عليه.

حين عاد سميث ورفاقه الى وعيهم، بفضل المساعدات التي قدمت لهم، وجدوا انهم في غرفة سفينة بخارية. انه اليخت، يقوده (روبرت)، ابن القبطان (غرانت)، الذي أوفد الى جزيرة تابور ليجيء بآرتون ويعيده الى بلاده بعد نفيه اثنتي عشرة سنة عنها.

هكذا تم انقاذ الجزيريين، واعادتهم.

وفي طريق العودة:

قال سميث: قبطان روبرت، مالذي، بعد مغادرتك جزيرة تابور، دفعك للتوجه مئة ميل نحو الشمال الشرقي، حيث كنا؟

قال غرانت: البطاقة التي تركتموها لي في جزيرة تابور.

قال سبيليت: البطاقة؟؟ أية بطاقة؟؟

قال غرانت: هذه.

وأبرز القبطان (روبرت غرانت) بطاقة تحدد خطوط الطول وخطوط العرض لجزيرة لنكولن، وهي حاليا مكان وجود آرتون وخمسة من الرعايا الاميركين.

قال سميث: إنه القبطان نيمو. .

قال سبيليت: ولكن، كيف. .

قال بنكروف: ربما استعار مغامرتنا . .

قال سميث: ياأصدقائي . . فلندع الى الله كي يتولى برحمته هذه الروح الخيرة. وهنا، تقدم (آرتون) من المهندس بكل بساطة قائلا له:

ـ وأين أضع هذا الصندوق؟؟

كان ذاك، هو الصندوق الذي أنقذه (آرتون) عندما هاجم الغمر الجزيريين. فبادره سميث:

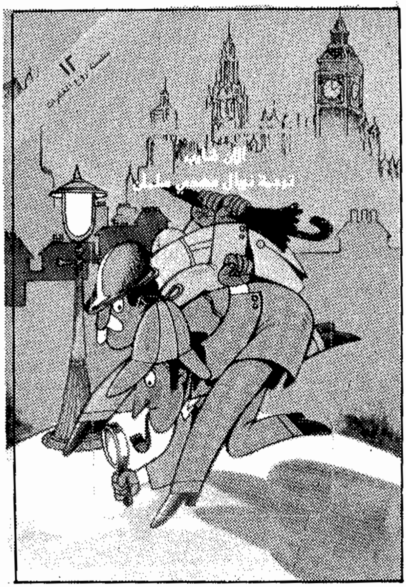
ـ آه آرتون، آرتون، ماأنبلك . لقد خاطرت بحياتك لانقاذ هذا الصندوق.

وضمه الى صدره بتأثر شديد.

بعد خمسة عشر يوما، كان الجزيريون ينزلون على أحد الشواطىء الاميركية، عائدين الى وطنهم وقد عاد اليه السلام.

أما موجودات الصندوق الثمينة، فقد استعملوها لشراء قطعة أرض واسعة في ولاية آيووا. وهناك، بإشراف المهندس وتنفيذه مع رفاقه، عم الازدهار. وظلوا جميعهم معا، بعدما أقسموا على تمضية حياتهم معا : (ناب) مع سيده، (آرتون) مستعد دائما للتضحية في كل مناسبة، (بنكروف) وقد بات مزارعا ممتازا بعدما كان بحارا، و (هاربرت) الذي نجز كل دروسه واختباراته على يد المهندس سميث، وكذلك (جدعون سبيليت)، الذي، بعد أن كان مراسلا صحافيا عاديا، أسس جريده سماها «نيولنكولن هيرالد»، عم انتشارها وبلغت شهرتها اربعه اقطار العالم.

# صدر عن دار ثقافة الاطفال



# صدر عن دار ثقافة الاطفال



رقم الايداع «٢٩٧» دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ١٩٩١

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
قسم النشر

السعر ٢٥٠ر١ دينار

دار الحرية للطباعة
بغداد